خطاب الحياة اليومية الدينى عند علماء الأزهر في ضوء خصائص كاريزما النبوة لماكس فيبر

أمل سعد صالح محمد(*)

الملخص

تحاول الدراسة رصد خصائص خطاب الحياة اليومية الدينى لعلماء الأزهر فى ضوء خصائص كاريزما النبوة لماكس فيبر والتى حددتها الدراسة فى خصائص امتلاك رأس المال المعرفى/الدينى والوصائية ومحاولة الاستمرار والديمومة والتمايز المهنى والحنين إلى الماضى، وقد استخدمت الدراسة منهج تحليل الخطاب باستخدام أداتى الملاحظة – وصحيفة تسجيل الموقف، وقد تم اختيار العينة عن طريق العينة المتاحة عمديًا لبعض خطابات علماء الأزهر، وسجلت مواقف بحوالى ٥٢ موقفًا منها ٣٢ موقفًا بأحد المساجد، و٢٠ موقفًا آخرون بمسجد آخر، وكذلك تسجيل ما يقرب من ٣٠ موقفًا آخرون من خلال قناة أزهرى بحوالى خطاب موقف للحياة اليومية الدينى لعلماء الأزهر أى ما يقرب من ٤٧ شيخًا من الأزهر، وأيضًا تحليل بعض خطابات من هم على رأس السلطة الدينية وقد جاءت فى ٨ مواقف، وجاءت نتائج الدراسة لتثبت فروضها المختلفة من حيث اتفاق خصائص خطاب الحياة اليومية الدينى لعلماء الأزهر مع خصائص كاريزما النبوة لماكس فيبر.

(*) أستاذ علم الاجتماع المساعد
كلية الآداب – جامعة المنوفية

Religious Discourse of Daily Life of al-Azhar Scholars in Light of Max Weber's the Charismatic Prophecy

Amal Saad Saleh

Abstract

The study tries to monitor daily lifereligious discourse of Al-Azharscholars in light of the characteristics of Max Weber's charismatic prophecy, herein identified as possessing the religious knowledge capital, custodianship,attempt to continue, sustainability, vocational differentiation andnostalgia.The study has used the discourse analysis approach using the tools of observation and the position recording sheet. The sample has been selected through the purposive available sample of some of Al-Azhar scholars' discourses. About 52 positions were recorded, including 32 positions at a mosque and the others 20 positions at another, as well as about 30 others from Azhari Space Channel, about areligiousposition discourse of daily life of Al-Azhar scholars or almost 47 sheikhs from Al-Azhar. In addition, some of the discourses, of those who are at the head of the religious authority were analyzed, 8 positions. The study results do approve its different hypothesis in terms of the coincidence between the characteristics of thereligious daily life discourse of Al-Azharscholars with those of the charismatic prophecyof Max Weber.

مقدمة وإشكالية الدراسة :

للدين اسهامًا هامًا فى تشكيل المنظومة القيمية والاخلاقية للأفراد، ويؤدى الأزهر دورًا فى تفسير الدين وتوضيح اسهاماته فى المجتمع، وقد كثر اللوم من بعض فئات المثقفين على الأزهر كمؤسسة تعليمية إصلاحية دينية لحل مشاكل التأزم الأخلاقي والتدهور القيمي بمجتمعنا المصري. ويجد الإنسان مع تصرفاته وسلوكياته الأخلاقية تبريرًا دينيًا من أحد علماء الأزهر، وتشديدًا أو رفضًا دينيًا من آخر، مما يثير الشك في نفوس الجماهير لوجود فتاوى تبدأ من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار(١)، وقد عكس الصراع الدائر في آراء علماء الأزهر السلطوية الدينية التي تحكم المجال الديني بشكل عام في مصر.

وقد ظهر هذا الخلاف بين علماء الأزهر في الآونة الأخيرة على الساحة الإعلامية، ونجدهم يرمون بهذا الخلاف على الإسلام برمته، بل على النص المؤسِس وهو القرآن الكريم، مستغلين رحابة هذا النص وانفتاحه وحمله لأوجه متعددة فى تفسيرات تبرر كل ما يختلفون عليه، حتى لو كان مضرًا بمصالح الإسلام والمسلمين الآنية والآتية، مما جعل مصالح الناس تتوارى خلف طبقات متلاحقة من تفاسير النصوص الدينية، مع أن هذه التفاسير لا يجب أن تتمتع بقدسية ولا يكتسب أصحابها عصمة، ولا تلبس أبدًا أي ثوب مقدس(٢).

وقد أدرك الإمام محمد عبده خطورة المنهج التقليدي الذى تتبناه المؤسسة الأزهرية ومشايخها، بعد غلق باب الاجتهاد وتغليب النقل على العقل – وكأن التاريخ يعيد نفسه بآليات مختلفة – وقد دعا الخديوي اسماعيل منذ القرن الـ١٩ الأزهر الى تجديد الفكر والخطاب الديني ليتماشى مع منظومة التحديث التى كان يشهدها المجتمع حينها، لكن الأزهر تقاعس عن تقنين الفقه على النهج الحديث، وتتكرر الآن دعوة الخديوي اسماعيل للأزهر من خلال الرئيس السيسي بتجديد الخطاب الديني، ولكنه أكد ضرورة مشاركة المفكرين والمثقفين للمؤسسة الأزهرية في مهمة تجديد الخطاب الديني، أي أن التجديد للخطاب الديني ليست مهمة الأزهريين والأزهر وحده.

واعتبرت المطالبة بتعديل المناهج الدينية، تعدٍ على سيادة هذه المؤسسة العريقة، ويرفض الأزهر إملاء أي شروط خارجية عليه، تنال من مناهجه التعليمية ورؤيته الدينية ومساره السياسي (النابع من كون الإسلام ينزع بطبعه نحو السياسة، وبالطبع فإن الأزهر لا يقدم نفسه في اللحظة الراهنة بوصفه مؤسسة سياسية، لكن تعاطيه مع السياسة سيظل أمرًا قائمًا، بالتوازي مع دوره الديني والعلمي مما يُظهر التلاحم أو الارتباط مابين الكاريزما السياسية والدينية في تاريخ الأزهر)، لأنه يقدم رؤية متكاملة للحياة لا تقتصر على المسائل الروحية، بل تشمل الواقع المعيشي بشتى جوانبه(٣).

وترى الدراسة أن السبب في رفض الأزهر والأزهريين أي إملاء لشروط خارجية تنال من مناهجه هو ارتباطهم بخصائص كاريزما النبوة كما حددها ماكس فيبر، ، وتتمثل تلك الخصائص فى امتلاك رأسالمال المعرفى/الدينى والتمايز المهنى والحنين الى الماضى ومحاولة الاستمرار والديمومة والوصائية، وذلك بسبب ارتباط علماء الازهر بالمجال العام، أى ان علماء الازهر يرتبطون بالحياة العامة للجمهور، بما يضفى مزيد من الاحترام والاجلال من خلال ديناميكيات مجموعة معينة من التعاليم، هذه التعاليم المنبثقة من مناهجة التعليمية الثابتة والراسخة، والتى لايرغبون فى المساس بها أو تغييرها، وبالتالى فان اعتقاد علماء الأزهر بأن أى مساس بمناهج وتعاليم الأزهر هو مساس بقيمتهم الدينية وباحترامهم واجلالهم المرتبط بكارزمتهم.

كما نجد أن قوة الأزهر تعني قوة شيخه، وضعف الأزهر يعني ضعف شيخه وصولا إلى استقلال الأزهر الذي يعني استقلال شيخه[٤]، وقد قدم الأزهر بشيوخه وعلماؤه دورًا سياسيًا وعلميًا، واستخدموا من قبل الحكام ليكونوا وسطاء بينهم وبين المحكومين. وبالطبع اختلفت المسافة بين شيخ الأزهر والحاكم تبعًا لمدى احتياج كل منهما للآخر، وإذا كان شيوخ الأزهر يساندون النظام الحاكم في سياسته أيًا كانت ودافعوا عنه، فإن الرؤساء أراحوا الشيوخ، بل وحموهم ووقفوا معهم في وجه خصومهم، فى محاولة لرسم صورة قومية للمؤسسة الدينية، وهو مايسهم بشكل غير مباشر فى دعم خطاب السلطة السياسية الحاكمة.

فقد ولد الأزهر من رحم السياسة مرتديًا ثوب الدين، حين أريد له أن يجذر التشيع في المجتمع المصري ويزيح الانحياز للمذهب السني[٥]، فبدا بذلك مؤسسة ذات طابع أيديولوجي أكثر من كونها ذات سمت ديني، ورغم مرور أكثر من عشرة قرون على ميلاده، لا يزال الأزهر يجاهد ليبقى في قلب الظواهر المرتبطة بالسلطة سلبًا وإيجابًا، متحديًا سواء في مواقف بعض رموزه أو بعض إنتاجه الفقهي والمعرفي، كل أولئك الذين يريدون فصل السياسي عن الديني[٦]. أو بمعنى أوضح الهيمنة الواضحة للفاعل السياسي على الفاعل الديني أو للكاريزما السياسية على الكاريزما الدينية.

وقد تم العمل على إدماج المناصب الدينية في هياكل الدولة من أجل القضاء على استقلالية الفاعل الديني والتحكم في قراراته، مع اعتبار الحاكم السياسي المصدر للسلطة الدينية، وبالتالي تأسست الكاريزما الدينية بارتباطها بالإدارة السياسية للحكومة.

ولكل من الكاريزما السياسية والدينية خطابًا، وقد يتداخل الخطابان، بحيث يصعب فصلهما في أحيان كثيرة، إن عالم خطاب الحياة اليومية الديني يخترق المؤسسات التنظيمية ويحدد مسارها ويضبطها من الخارج، فالعلاقة بين خطاب الحياة اليومية الديني وعالم النظم علاقة بين مستويين منفصلين، ولكنها علاقة بين مستويين متداخلين تداخلا كبيرًا، وبذلك فإن عالم النظم يظهر في خطاب الحياة اليومية الديني بصور متعددة.

وهنا يرتبط خطاب الحياة اليومية الديني بالخطاب المؤسسي العام في مصر وكذلك يرتبط خطاب الحياة اليومية الديني مع الخطاب المؤسسي الخاص لعلماء الأزهر، ونقصد هنا بخطاب مؤسسة الأزهر كجامع وكجامعة. وترى الدراسة أن هذان الشكلان من الخطاب لا ينفصلان بل يتبادلان التأثير بشكل صريح أحيانا وضمني في أحيان أخرى، وفي ضوء ما يتوفر للخطاب الرسمي من مصادر قوة وإمكانيات اتصالية فإنه يتمتع بالضرورة بقدر من السيطرة والهيمنة، وذلك انطلاقا من قناعة أن خطاب الحياة اليومية الديني لا يدرس بمعزل عن الإطار العام أو المنظومة الكبرى التي يتواجد داخلها.

وقد اوضحت بسمة عبد العزيز فى كتاب "سطوة النص" ان خطاب المؤسسة الرسمية الدينية فى مصر – الأزهر – يكشف عن أداة رئيسية من أدوات السيطرة على المجتمع، اذ تمثل المؤسسات الدينية بشكل عام أحد اوجه السلطة الاجتماعية القادرة على ممارسة عمليات الهيمنة وتوجيه الجماهير، كما ترصد الباحثة عملية توظيف خطاب الأزهر فى المواقف السياسية المتنوعة، وتتطرق الى مسالة استخدام النص الدينى فى دعم السلطة، وتقوم بتحليل النص وتفكيكه من خلال منهج التحليل النقدى للخطاب والقائم على تحليل ورصد علاقة اللغة بالسلطة، وتوضح كيف أمكن من خلاله تشكيل وعى الجماهير وتوجيهها الى مسارات محددة(٧).

وقد أكد دوجلاس بارنيس Douglas F. Barnes بان هناك نظرية للقيادة الكاريزمية، وقد ربط هذه القيادة ببعض الملابسات الاجتماعية التي في ظلها سوف تظهر الكاريزما. وافترض في القادة الكاريزميين أن يعيشوا في فترات التغيير الاجتماعي الجذري أو منعزلين عن الاتجاه العام للمجتمع، وتكون لديهم تعاليم مبتكرة عندما يتم اضفاء الطابع المؤسسي على دينهم، كما أنهم لا يتم استبعادهم من شغل وظيفة مؤسسية في اطار دين تقليدي. وقد وجدت النظرية ما يدعمها بشكل مبدئي في دراسة لبيانات السير الذاتية لخمسة عشر قائدًا كاريزميًا وخلفائهم ينتمون إلى فترات تاريخية وأماكن مختلفة، وذلك باستخدام منهج دراسة الحالة(٨). والسؤال المطروح الآن : ما علاقة خطاب الحياة اليومية الديني بالمنظومة المؤسسية التي يخضع لها، وإلى أي مدى يسقط هذا الخطاب في هذا الخضوع المؤسسي؟ إن الخطاب الرسمي بأبعاده السياسية والثقافية والاقتصادية والدينية يحاول أن يقدم المعلومات للناس بطريقة معينة، أي أنه يقدمها إليهم لتحقيق أغراض معينة فيما يتصل بأهداف النظم المسيطرة وإعادة إنتاجها. ومع افتراض أن العلاقة بين خطاب الحياة اليومية الدينى وأطرها النظامية الضابطة يتعايشان، فأينما وجد ت حياة يومية وجدت فوقها ضوابط، وأينما وجدت ضوابط اجتماعية توجد أسفلها حياة يومية.

وإن مشكلة بحثنا الراهن ترتبط بمحاولة الاقتراب من خطاب الحياة اليومية الديني لعلماء الأزهر، ومحاولة إلقاء الضوء على خصائصه المرتبطة بخصائص كاريزما النبوة عند ماكس فيبر، (أى ان مفهوم كاريزما النبوة أو خصائص النبى

تتوارث وتنتقل الى شخصية عالم الازهر ويتضح ذلك فى خطاب الحياة اليومية لديهم)، وعلاقتها بالبنية المؤسسية التي تقف فوقها موجهة وضابطة من جهة، وعلاقتها بالأتباع (الجمهور الموجه إليه خطاب الحياة اليومية الديني) من جهة أخرى. مع اعتبار ان الخطاب الدينى الأزهرى هو خطاب حياة يومية، وذلك لأنه يحمل صفات خطاب الحياة اليومية، بالأضافة الى انه خطاب مؤسسى رسمى. (انظر تعريف خطاب الحياة اليومى بالدراسة)

أهداف الدراسة :

تنطلق الدراسة من هدف أساسي هو :

محاولة الكشف عن التطابق بين خصائص خطاب الحياة اليومية الديني لعلماء الأزهر وخصائص كاريزما النبوة كما حددها ماكس فيبر. وكما تحددها الأهداف الفرعية التي تنبثق من الهدف الأساسي كالآتى :

١– محاولة الكشف عن التطابق بين خصيصة امتلاك الاطار المعرفى (رأسالمال المعرفى/الدينى) فى الخطاب الديني اليومي لعلماء الأزهر وخصائص كاريزما النبوة لماكس فيبر.

٢ – محاولة الكشف عن التطابق بين خصيصة الاستمرارية والديمومة فى الخطاب الديني اليومي لعلماء الأزهر وخصائص كاريزما النبوة لماكس فيبر.

٣– محاولة الكشف عن التطابق بين خصيصة الحنين إلى الماضي فى الخطاب الديني اليومي لعلماء الأزهر وخصائص كاريزما النبوة لماكس فيبر.

٤ – محاولة الكشف عن التطابق بين خصيصة الوصائية فى الخطاب الديني اليومي لعلماء الأزهر وخصائص كاريزما النبوة لماكس فيبر.

٥– محاولة الكشف عن التطابق بين خصيصة التمايز المهني فى الخطاب الديني اليومي لعلماء الأزهر وخصائص كاريزما النبوة لماكس فيبر.

فروض الدراسة :

تنطلق الدراسة من فرض أساسي هو :

إن هناك تطابق بين خصائص خطاب الحياة اليومية الديني لعلماء الأزهر وخصائص كاريزما النبوة كما حددها ماكس فيبر. وكما حددتها الفروض الفرعية التي تنبثق من الفرض الأساسي كالآتى :

١– إن هناك تطابق بين خصيصة امتلاك الاطار المعرفى (رأسالمال المعرفى/الدينى) فى الخطاب الديني اليومي لعلماء الأزهر وخصائص كاريزما النبوة لماكس فيبر.

٢ – إن هناك تطابق بين خصيصة الاستمرارية والديمومة فى الخطاب الديني اليومي لعلماء الأزهر وخصائص كاريزما النبوة لماكس فيبر.

٣– إن هناك تطابق بين خصيصة الحنين إلى الماضي فى الخطاب الديني اليومي لعلماء الأزهر وخصائص كاريزما النبوة لماكس فيبر.

٤ – إن هناك تطابق بين خصيصة الوصائية فى الخطاب الديني اليومي لعلماء الأزهر وخصائص كاريزما النبوة لماكس فيبر.
٥– أن هناك تطابق بين خصيصة التمايز المهني فى الخطاب الديني اليومي لعلماء الأزهر وخصائص كاريزما النبوة لماكس فيبر.

الأهمية العلمية والعملية للدراسة :

تتمثل أهمية الدراسة العملية فى أهمية الموضوع الآن على الساحة المجتمعية، حيث نطالب الآن بتجديد الخطاب الديني، واتساقه مع الواقع المعاش، وتجد الدراسة الحالية أن أولى خطوات تجديد الخطاب الديني هى معرفة بيت الداء، وأن نضع أيدينا على الفاعلين المؤثرين فى الخطاب الديني، ومسار خطابهم والمؤثرات التى تؤثر على هذا الخطاب المؤسسي والعلمي، لكي تتضح الرؤية ونتحسس خطانا لتجديد الخطاب الديني. أما الأهمية العلمية فتتمثل فى ندرة الدراسات التى اقتربت من موضع الدراسة الحالية، ولذلك فالدراسات السابقة فى الموضوع تكاد لا تذكر.
كما تعتبر دراسة خطاب الحياة اليومية الديني نقدًا لهذا الخطاب وتشريحًا لعلاقات القوة والقهر سواء تلك التي تمارسها المؤسسات المختلفة أو تلك التي يمارسها الأفراد (علماء الأزهر) تجاه الجمهور في حياتهم اليومية (أفراد المجتمع المصري المسلمين).

مفاهيم الدراسة :

مفهوم خطاب الحياة اليومية الديني

تعتبر الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل، ومن ثم فإن فهمنا للغة الخطاب اليومي لن تكتمل إلا بدراسة عملية التواصل نفسها، ويمكن القول بانه إذا كانت أشكال التعبير اللغوي ومحدداته تقدم فكرة من الجوانب الدينامية في هذه اللغة، فان الكلام ليس شكل تعبير فقط، وإنما هو عملية تواصل تتدخل فيها أبعاد تاريخية وثقافية شخصية، ولاشك أن إلقاء الضوء على هذه الأبعاد يكشف عن ديناميات اللغة والعوامل المؤثرة عليها، ونقصد بالتواصل اللغوي – أو التفاعل اللغوي – "العملية التي بمقتضاها ينقل فاعل إلى فاعل آخر أفكاره وتصوراته عن طريق الكلام والرموز الأخرى، وكذلك العملية التي يستقبل بها الآخر الأفكار والتصورات"، وفي ضوء هذا التعريف فإن عملية التواصل اللغوي ليست حديثا فقط وإنما هي حديث وإصغاء، وهذه العلاقة (الإصغاء والحديث) هي جوهر التفاعل اللغوي، بل هي جوهر التفاعل كله.

وليس المقصود بالخطاب الديني فى الدراسة الحالية الخطابة فى المساجد (مثل خطبة الجمعة) على وجه الحصر والتحديد أو الوعظ الديني، وإنما المقصود الفكر الديني فى عمقه المعرفي، والمسجد كان ولا يزال الفضاء الرئيسي فى انتاج الخطاب الديني وترويجه، على الرغم من ظهور وسائل أخرى حديثة للخطاب الديني، وبذلك تتناول الدراسة مجال المساجد والمجال الحديث للخطاب الديني عبر قنوات تليفزيونية متخصصة كقناة أزهري.

ويتصف خطاب الحياة اليومية الدينى بأنه خطاب حياة يومى لتطابق خصائص الخطابين من حيث انه خطاب يومى ودائم ومتواجد عبر المؤسسات الدينية الرسمية (المساجد – دار الافتاء – جامع الأزهر وجامعته)، اذا هناك تداخل بين الحيز المكانى والزمانى لخطاب الحياة اليومية الدينى مع كثرة الطقوس والاحتفالات الدينية، ومن حيث الصلوات اليومية حتى الطقوس السنوية والشهرية تقريبًا والتي يتواجد من خلالها رجال الأزهر دائمًا. وفي ضوء هذا فإن بحثنا هذا ينظر إلى الخطاب الديني كخطاب حياة يومي يمكن إخضاعه للدراسة والتحليل. وبما أن الحياة اليومية هي خطاب، أو أن لها خطابها الخاص، اذا ننطلق من مستويين لتحليل خطاب الحياة اليومية الديني.

المستوى الأول : أن هذا الخطاب الحياتى اليومى لعلماء الأزهر هو وعاء معرفي ومعلوماتي، هذا الوعاء المعرفي يجعل من الحياة اليومية للآخرين (الجمهور) قابلة للتنظيم معتمدة على هذا الوعي المرسل من رجال الدين، أو بقول آخر أن هذا الخطاب الحياتي اليومي الديني ينظم حياة الآخرين وخطابهم اليومي للتفاعل مع الآخر. وبذلك فإنه يمكن القول بأن الحياة اليومية تحمل معنى الخطاب وخصائصه، فالناس في حياتهم اليومية عندما يتحدثون أو يتبادلون وجهات النظر أو يسلكون سلوكًا معينًا فإنهم يعبرون عن موقف خاص ويعبرون عن وجهة نظر معينة دينية، أستوعبوها من الخطاب اليومى الدينى ونظمها لهم ذلك الخطاب. فان خطاب الآخر المقابل لهذا النوع من خطاب الحياة اليومية الدينى يتسم اما بالخضوع التام او النقد والتحليل.

المستوى الثانى : وهو المستوى الذي نقصده بوصفنا لخطاب الحياة اليومية الديني بأنه خطاب، فيرتبط بإمكانية النظر في خطاب الحياة اليومية الديني باعتباره نصًا يمكن قراءته وتأويله، وهنا النص الديني في الحياة اليومية متدفق عبر الزمن، ولذلك فأنه له بعده التاريخي أو ذاكرته التاريخية، كما أنه نص متحرك عبر المكان طالما أنه غير ثابت ودائم التدفق، أى أنه يتحرك عبر عوالم مكانية مختلفة خلال يوم الأفراد وخلال حياتهم بعامة، أضف الى كل ماسبق أن علماء الأزهر يتواجدون بين شرائح المجتمع المختلفة وهم يبثون خطابًا دينيًا دائمًا، ومن هذه المنطلقات السابقة يمكن النظر إلى خطاب علماء الأزهر بإعتباره خطاب الحياة اليومية الديني.

ويتم صياغة التعريف الاجرائى لمفهوم خطاب الحياة اليومى الدينى كالتالى " هو خطاب حياة يومى دينى موجه من رجال الدين يعملون فى مؤسسة دينية رسمية، الى جمهور ما، وهو خطاب له بعد زمانى وآخر مكانى، وان لهذا الخطاب خصائص كاريزما النبوة، من حيث الحنين الى الماضى والرغبة فى الاستمرار والديمومة والتمايز المهنى والوصائية وامتلاك الاطار المعرفى"

وتتبنى الدراسة لتحليل الخطاب اليومي الديني لعلماء الأزهر العديد من المقاربات النظرية لخطاب الحياة اليومية، والتى تعمل على تحقيق أهداف الدراسة وتساؤلاتها، من خلال مقاربتين نظريتين:

١ - لسانيات الخطاب:

يندرج تحليل الخطاب كدراسة تحت مفهوم كبير هو اللسانيات، كما ظهرت على يد سوسير، وقد عرف هذا المصطلح اضطرابًا نظرًا لارتباطه بتصورات مختلفة للغة، انعكست على تحديده، إذ هناك من يربطه بالنص، وهناك من يربطه بالملفوظ، وهناك من يميزه عن اللغة التى تشكل نظامًا من القيم المفترضة، وإن هناك فروقًا واضحة فى الفهم والتعريف من دارس لآخر. نجد سوسير De Saussure يعرف الخطاب بأنه "مصطلح مرادف للكلام". وهاريس Harris يعرف الخطاب "بأنه وحدة لغوية ينتجها الباث (المتكلم) تتجاوز أبعاده الجملة أو الرسالة". ويعرف بيار شاردو الخطاب بأنه "ما تكون من ملفوظ ومقام خطابي، وأن الملفوظ يستلزم استعمالا لغويًا عليه إجماع، أي قد تواضع عليه المستعملون للغة، وأن هذا الاستعمال يؤدى دلالة معينة (تلفظ + مقام خطابي = خطاب)، اى استعمال عليه اجماع دلالة معينة". كما تعرفه جوليا كريستيفا "بأن الخطاب يدل على كل لفظ يحتوي داخل بنياته الباث والمتلقى مع رغبة الأول فى التأثير على الآخر". وعرفه ديبو J Dubois. بأنه " هو اللغة أثناء استعمالها أى اللسان المسند إلى الذات المتكلمة"[٩].

فلقد تعددت الدلالات والمفاهيم الخاصة بالخطاب بتعدد مجالات الدارسين وتخصصاتهم مما أدى إلى فرض كل حقل معرفي مسلماته وإشكالياته على المفهوم، فبينما يضيقه البعض ليقتصر على أساليب الكلام والمحادثة، يوسعه البعض ليجعله مرادفا للنظام الاجتماعي برمته[١٠].

وكما ظهر مصطلح "لسانيات الخطاب" الذى يشير إلى أسلوب آخر فى إدراك اللغة، لعبت التداولية، باختلاف فروعها، دورًا أساسيًا فى تغيير النظرة الى اللغة، وتدعم هذا التوجه بمجموعة من الأفكار منها:

- أن الخطاب هو تنظيم مجاوز للجملة، معنى ذلك أنه ليس تتابعًا لمجموعة من الكلمات، بل هناك بنى يخضع لها، تتجاوز بنى الجملة.
- الخطاب تفاعل يتجلى فى المحادثات التى يسعى فيها أصحابها الى التنسيق بين مختلف ملفوظاتهم أثناء تحاورهم، ويشمل هذا النمط الخطابي كل ما يصدر عن المتكلم من خطاب، أحضر المستمع فيه أم لم يحضر، كالمحاضرات والخطابات السياسية والدينية.
- لا يكون الخطاب خطابًا إلا إذا تبنته هيئة تشكل محور المعالم الزمانية، والمكانية والشخصية، وتشير إلى موقفها تجاه ما تقوله، أو أن تسند مسؤولية هذا الأخير الى الغير، ومن بين ما يتضمنه هذا التوجه، الدراسات التى أجريت على العناصر الذاتية الكامنة فى اللغة.

- يخضع الخطاب لمجموعة من المعايير الاجتماعية والأخلاقية، تتكفل قوانين الخطاب بتبيانها، فالأفعال الكلامية كالأمر والوعد والنهي... لا يمكن لها أن تصدر دون الخضوع لمعايير حددتها الأخلاق والقيم الاجتماعية والثقافية والدينية.
- وأخيرًا، لا يؤول الخطاب إلا بإدراجه فى خطابات أخرى، فلكل نوع خطابي أسلوبه فى التكفل بتسيير مختلف العلاقات التخاطبية، إن تأويل أي خطاب من أي نوع كان، يقتضي ربطه أو مقابلته بخطابات لأنواع خطابية أخرى.

٢ - التوجهات العصرية فى تحليل الخطاب بكل أنواعه:

وقد توصلت العلوم الحديثة، خاصة النظريات التفكيكية وما بعد الحداثية، الى تصور عام لمفهوم الخطاب يُدخل فى نطاقه كل الأقوال المسموعة والمكتوبة والرموز والعبارات والأقوال، بل وأساليب السلوك باعتبار أن المجتمع ذاته يفهم على أنه نص Text يخضع لنفس أساليب تحليل الخطاب[١١]. ومن هذه المقاربات:

- المقاربة التلفظية:

تعتمد هذه المقاربة ربط العديد من العناصر اللغوية بعوامل خارجية، فى اطار دراسة شروط انتاج الخطاب وفهم آليات توظيف اللغة. ويعد اللساني الفرنسي إيميل بنفنيست هو مؤسس هذه المقاربة التى سميت بنظرية التلفظ، ومن بين المواضيع التى تدرسها الآثار التى تشير الى عنصر الذاتية فى الخطاب. ويخضع هذا الأخير لوضعية تتشكل فيما أسماه بنفينست بالجهاز الشكلانى للتلفظ. فتتكفل هذه المقاربة بدراسة المبهمات (ضمائر الشخص، الظروف الزمانية والظروف المكانية) وهى الوحدات اللغوية التى تسمح للمتكلم بالارتباط بالواقع.

- المقاربة التبليغية:

ويُعد اللساني رومان ياكبسون مؤسس هذه المقاربة، وذلك بحصره مكونات العملية التبليغية فى ستة عناصر: المرسل، المتلقي، الوضع، المرجع، القناة والخطاب، وقد أسند لكل عنصر من هذه العناصر وظيفة: الوظيفة التعبيرية للمرسل، الوظيفة التبليغية للمتلقى، الوظيفة الاصطلاحية للوضع، الوظيفة السياقية للمرجع، الوظيفة الاتصالية للقناة، وأخيرًا الوظيفة الاصطلاحية للخطاب.

لقد اعتبر الوظيفة التبليغية أهم وظيفة، وباقي الوظائف تتمحور حولها، لأن التبليغ هو الماهية الأولى للغة، يعترف ياكبسون نفسه أنه من الصعب إيجاد خطابات تنحصر تمامًا فى وظيفة من هذه الوظائف الست، ومنه فإن الصيغة الكلامية لأي خطاب تخضع للوظيفة المهيمنة.

- مقاربة تحليل المحادثة:

تشكلت هذه المقاربة من بعض الأعمال، مثل **التفاعلية الرمزية التى** تشمل أعمال جوفمان E. Goffman وتتناول بالدراسة المحادثات اليومية التى تخضع للاحترام المتبادل بين المتحادثين، مع الحفاظ على السير الحسن للمحادثة.

واثنوغرافيا التواصل التى تنطللق من اعتبار موضوع اللغة ظاهرة ثقافية اجتماعية تتحكم فيه مجموعة من الوظائف، **واثنومثودولوجيا المحادثات اليومية** ويشمل أساس هذه المقاربة الذات الاجتماعية، المنشئة للفعل التواصلي للحقيقة الاجتماعية اليومية، عن طريق معارفه وتمثلاته واستراتيجياته الخطابية لغرض بلوغ غايات محددة. يتأسس البحث لا على فعل كلامي منعزل، بل يشمل سلسلة التفاعلات عن طريق الملكات والقدرات فى سبيل تحقيق نشاطات المحادثات التى تجري بين أعضاء المجتمع الواحد ضمن الحياة اليومية. ومن بين رواد هذه المقاربة، شغلوف وساكس الذي يفترض أن التنظيم والفعل الاجتماعيين قابلان للتحليل باعتبارهما تنظيمات منظمة ومحددة بأعراف ومؤسسات. فالتفاعل هو تمشهد للمتخاطبين يتم وفق النمط التالي: تأثر سلوكيات أحدهما فى الآخر بأسلوب متبادل. وفى اطار هذه العلاقة المنسقة لقطبي المحادثة، يضع المتكلم إجرًاء تفاعليًا، ضمن اللغة التخاطبية تحدده أدوار محددة مسبقا وقواعد دقيقة مصدرها الملكة التبليغية.

- **مقاربة الأعراف الاجتماعية**:

وقد تشكلت هذه المقاربةفى عمل الفيلسوف الفرنسي بيير بورديو Pierre Bourdieu، الذى يرى بأن كل فعل كلامي توفرت فيه السلطة يحتوي أسلوبه ومفرداته ونطقه على عناصر هذه السلطة، فالأسلوب فى الحديث، مثلا يعتبر عنصرًا من الجهاز الذى يسعى به صاحبه الى انتاج وفرض صورة عن أهميته، ويساهم فى الوقت نفسه فى فرض وجوده. ويكمن السر فى وجود فعل السلطة فى المجموعة التى قامت بتفويض السلطة للشخص الذي يراعى فى بسطها مجموعة من الشروط التى تحدد هى ذاتها الأعراف الاجتماعية[١٢].

أنواع الخطاب:

أما عن أنوع الخطاب، فهناك الخطاب الخاص بفئة معينة، كالخطاب الصحفي والإداري ونعني به الانتاجات الكلامية الخاصة بمجموعة من المتكلمين ووظائف الكلام لديهم[١٣]. فهناك أنواع كثيرة من الخطاب تبعًا للفئة التى تمارس هذا النوع أو ذاك من الخطاب، كما تتعدد الخطابات بتعدد المعارف الإنسانية فى العلوم والآداب والفنون. ويعتبر الخطاب الديني من أنواع الخطاب الموجه للتأثير على الآخر، كما انه خطاب خاص بفئة معينة، وهذا الخطاب مرتبط بعمل هذه الفئة من أصحاب الخطاب، ويتصف بعدة صفات كالتالي:

- السرد (من خلال روايات وتاريخ الرسول (ص) والسرد أيضًا من خلال قص الحكايات والاستشهاد بأقوال الصحابة والأدعية الدينية، وعرض للخبرات والتجارب وحكايات الأسفار والرحلات[١٤].
- الأمر من خلال النهي عن المنكر والأمر بالمعروف.
- التكرار لخطابات سابقة.

- أنه يعبر عن الرؤية ووجهة النظر، ويتضح ذلك من أحادية الافتاء، دون ذكر الأقوال الأخرى.
- كما أن الخطاب هو جزء لا يتجزأ من التاريخ.
- والخطاب الدينى مرتبط بالسلطة، فقد طرح ميشيل فوكو فكرته عن طرح الخطابات وعلاقته بالسلطة، وان هذا ليس مجرد تخطيط وتنظيم من قبل السلطة فحسب، وإنما علاقة تجمع بين اللغة وأنماط الهيمنة الاجتماعية. وللوصول بالخطاب الى مختلف الفئات الاجتماعية يتميز إما بممارسة القوة المعتمدة على الإكراه أوممارسة القوة المعتمدة على الإقناع (أو ما يطلق عليه الهيمنة الناعمة)[١٥].

مفهوم الكاريزما عند ماكس فيبر

ماقصده فيبر بكلمة كاريزما هو على وجه الدقة عنوان لسلطة لاترتكز على عملية عرفية او قانونية عقلانية، وإنما على نوع من سمة شخصية يتصور وجودها فى فرد ما وربما ينظر إليها على انها ذات أصل إلهى، وبغض النظر عن معرفة أصلها فإنه متى تم الاقرار بوجودها فإن الكاريزما تصبح مستوجبة الطاعة، وكان اسهام فيبر فى وضع وتعميم وعلمنة فكرة الكاريزما كأساس لممارسة السلطة ومن ثم ممارسة السلطة الكاريزمية.

ان الكاريزما عند فيبر فى محصلتها النهائية ليست مجرد موهبة شخصية متأصلة بل هى على وجه الدقة صفة استثنائية لممارسة السلطة، أو بعبارة اخرى فإن الموهبة التى لاتحظى بالاعتراف أو التى لم تعد تحظى به هى موهبة عاجزة، والسلطة الكاريزمية تميل فى جميع الاوقات إلى ان تتحول إلى سلطة منتظمة من بين أحدى السلطتين القانونية أو التقليدية. والنبى هو واحد من الانواع الكلاسيكية للقائد الكاريزمى، ويعرف بانه فرد حامل لكاريزما يعلن بموجب الرسالة التى جاءته عن معتقد دينى أو وصية إلهية[١٦].

وبالتالى فان التعريف الاجرائى لمفهوم كاريزما النبوة عند علماء الأزهر يتمثل فى " انها هيمنة يمارسها الأزهرى، قد تجمع هذه الهيمنة بين الهيمنة الدينية والسياسية، وقد تورث الهيمنة الدينية من النبى (ص)، وتستمد الهيمنة السياسية من ارتباط الدين بالسياسة منذ تمأسس الكاريزما فى مؤسسة رسمية (الأزهر)، وللكاريزما الدينية بعض الخصائص كما حددها ماكس فيبر".

الإطار النظري للدراسة :

ربط فيبر بين الكاريزما ومجال الهيمنة السياسية، وميز بين ثلاثة أنواع من السيطرة السياسية الشرعية : منها السيطرة المتسمة بالكاريزماتية، السيطرة المتسمة بالتقليد، وأخيرًا تلك المستندة إلى بعد عقلاني (وهو يقر بأنها ربما لاتوجد عادة فى حالة خالصة) ، وأيضًا ربط فيبر بين الكاريزما والهيمنة الدينية والذي يعد السبب أو الاهتمام الثاني – بعد الهيمنة السياسية - الذي دفع فيبر نحو مصطلح الكاريزما،

فالهيمنة الدينية بطبيعة الحال منبثقة عن الظاهرة الدينية، تلك الهيمنة التي تتحكم في فعاليات وأنشطة اجتماعية متنوعة من قبيل الفعل الاجتماعي – الديني، والتنظيمات أو التجمعات الدينية. وكذلك ربط فيبر بين الكاريزما والأنشطة الاقتصادية المختلفة والقدرات المادية. اذن من يملك رأس المال الدينى بصفاته السابقة يملك خصائص الكاريزما.

فإذا كان فيبر قدم السلطة الكاريزمية بوصفها إحدى السلطات الثلاث إلى جانب السلطتين (التقليدية والقانونية) التي تعد بأن لها بعدًا شرعيًا، والتي هي إلى جانب السلطات الأخرى بمثابة أداة للتمايز بين السياسة والدين، والذي يملك كل واحد منهما منطقه الداخلي الخاص به، ولكنها في الوقت عينه بالنسبة له أداة لإقامة العلاقة بينهما(١٧).

مع ملاحظة أن فيبر وأفكاره طبقت على الكنيسة المسيحية، وما تتناوله الدراسة الحالية تطبيق تلك الأفكار على المؤسسة الإسلامية بعيدًا عن الدخول في مسائل تتعلق بالدين الإسلامي، إذ الدراسة تهتم بالمؤسسة الدينية والفاعلين بها، وترى الدراسة من خلال قراءات أدبيات كاريزما النبوة عند فيبر، إن هذه الكاريزماتية هي كاريزما اجتماعية قبل أن تكون اقتصادية وسياسية انطلاقًا من أن معظم الديانات جاءت لتعالج الاجتماعي أكثر من الاقتصادي والسياسي وإن لم تترك الاقتصادي والسياسي دائمًا، وبالتالي يجب توضيح دور الأزهر الشامل داخل بنية المجتمع المصري.

وقد اهتم فيبر بموضوع الهيمنة الدينية، والتجمعات الدينية تبدو له كنوع خاص من تجمعات الهيمنة، نوع يطلق عليه فيبر اسم «التجمعات الهيرقراطية»، وهي في الواقع تجمعات يمارس فيها نوع خاص من الهيمنة على البشر. ولقد وضع فيبر سوسيولوجيا الأديان التي شيدها في إطار سوسيولوجيا الهيمنة، وهو ما يجعله يبدي اهتمامًا كبيرًا نحو مختلف أنماط ممارسة السلطة الدينية(١٨).

تلك السلطة التي حاز عليها فرد ما داخل الجماعة على أساس الصفات الدينية والقوى الخارقة والقدرات الاستثنائية التي يمتلكها، من الواضح أنها ضمن التجمعات الدينية – التجمعات الهيرقراطية (الكنسية) على سبيل المثال لا الحصر - ستستطيع وحسب نظر فيبر من أن تمنح بعض الأفراد الذين يلتزمون ببعض السياقات (الهيرقراطية) من الحصول على ملكة أو قدرة الكاريزما(١٩). والهيمنة الكاريزماتية برأيه تضفي القداسة والعظمة على ما وراء الحياة اليومية.

والكاريزما لدى فيبر تشتمل على نوعين هما : النوع اللدني / الموهوب، والنوع الآخر : الكسبي/ الممنوح، ويبدو أن النوع الأول هو الأعلى والأفضل بالنسبة لديه لكونه هو المسئول عن منح أو تقرير النوع الثاني، ولكن إذا كانت الأزمات الدينية هي التي تبرز الفرد الموهوب / المتفرد دينيًا. فأن أجواء الأزمات الاجتماعية المتنوعة هي المسئولة بنظره عن إبراز الفرد الموهوب / المتفرد اجتماعيًا (سياسيًا – اقتصاديًا – عسكريًا)(٢٠).

وقد أشار عبدالإله بلقزيز إلى أن الكيان الذي أنشأه النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) يوسم بأنه دولة، من خلال لجوئه إلى المعيار الفيبري الشهير : التخطيط العقلاني لإدارة شئون الدولة، وقد وصف الباحث سلطة النبي السياسية من خلال نظرية السلطة عند ماكس فيبر وذلك ليرى أن السلطة النبوية كانت من ذلك الصنف الذي يدعوه ماكس فيبر (كاريزماتيًا) وأن النبوة لم تنفصل عن السياسة في التجربة المحمدية بل استوعبتها(٢١).

وقد أشار وليم جيمس William James إلى أن الأديان قد ظهرت من الناحية التاريخية في هيئة مؤسسات قبل أن تنمو إلى درجة الحياة الشخصية، ففي نهاية الأمر (بحسب رأيه) ترجع العلة في وجود هذه المؤسسات إلى ابتداع العباقرة الدينين، فإن الدين الشخصي قد أبعد على مر الزمان المؤسسات التي لا تعيش إلا إذا أمسكتها نفوس المؤمنين والمخلصين(٢٢). وبحسب فيبر فإن الطبقات ذات الامتيازات الاجتماعية والاقتصادية العالية، أي هؤلاء الذين يمتلكون سلطة المؤسسات الدينية جعلوا للدين وظيفة أساسية هي شرعنة نمط حياتهم ووضعهم في العالم(٢٣).

إن خضوع هذه الحياة اليومية للمؤسسة الرسمية وما نتجته من أفكار وثقافة يؤدي إلى فقدان قيمة العقل لدى الإنسان، ويتحول العقل لديه إلى طاقة معطلة أكثر من كونه طاقة تساعده على تحقيق حياة أفضل. ومن الواضح أن فيبر لا يستطيع النظر إلى فرد ما بوصفه قائدًا كاريزميًا من دون الالتفات والتركيز على ركنين أساسيين هما : الملكات والقدرات الخارقة التي يتحلى بهما، والأتباع والمريدين الذين ينظرون إليه بوصفه قائدًا لهم. ومن المهم رصد رد فعل الجماهير لخطاب الحياة اليومى الدينى لعلماء الازهر، والمجتمعات الدينية المتأثرة بالوعظ والتعليم الديني لا يكون تأثرها وقفا على الأنبياء فقط بل المصلحين ورجال الدين كذلك، وهذا مرجعه إلى الاعتقاد المكرر في كتابات فيبر على أن الكاريزما ممكن أن تمتلكها شخصيات دينية وغير دينية.

ومع كل الخصائص الخطابية لعلماء الأزهر، نجد رد فعل الآخر للخطاب اليومي الديني يتسم بالخضوع والقبول الكامل أو الاعتراض والمقاومة من فئات مثقفة(٢٤). وتقسم الدراسة هذه الجماهير إلى جماهير ليست لديها الوعى أو القدرة على استخدام العقل والفهم، ومجموعة أخرى من المثقفين الذين يمتلكون اطارهم المعرفى والعقلى للنقد.

ولقد انطلق تيودور أدورنو من الأفكار التي طورها هوركهايمر، فالإنجازات التي حققها العقل أدت في النهاية إلى تحويل العقل إلى أداة لخدمة الطبقة المسيطرة، بحيث فقد العقل طاقاته النقدية والتنويرية التي ارتبطت به في عصور سابقة، لقد تحول العقل إلى أداة لكبح الحياة اليومية، تلك التي أصبحت تفتقد إلى أي شكل من الوعي، بل أصبحت هي نفسها سالبة للوعي(٢٥). فإذا كان العقل قد استخدم كأداة للخضوع، فإن له قدرة أخرى، أو قل لديه نوعًا آخر من التفكير يرتبط بقدرة العقل على سلب الواقع ورفضه والقدرة على التمرد على هيمنة الوعي العادي لأيديولوجيا المؤسسات(٢٦).

ولقد تأثر هابرماس Habermas آخر أشهر علماء مدرسة فرانكفورت بكل من أدورنو وماركيوز، ومن ثم فقد كرس جل اهتمامه لنقد هيمنة المؤسسات على الوعي الفردي والجماعي وسلبها لهذا الوعي، وإذا كانت مدرسة فرانكفورت قد وجهت اهتمامها نحو نقد النظم والمؤسسات التي تكبل عالم الحياة اليومية للأفراد، فإن المدخل الفينوميولوجي كدراسة المجتمع قد ترك عالم النظم والمؤسسات كلية واتجه كلية إلى عالم الحياة اليومية(٢٧).

وقد حددت الدراسة خصائص كاريزما النبوة لعلماء الأزهر، فى ضوء خصائص كاريزما النبوة لماكس فيبر، من خلال العوامل الآتية والتى يتم من خلالها اخضاع الجماهير:

١ - امتلاك الأطر المعرفية (رأس المال المعرفى/الدينى)

ومع أهمية الدين كرأسمال ديني، فيؤكد جيفريس Jeffries على القيم التى يضيفها الدين كرأسمال من خلال قوله أن سبب وجود الدين داخل المجتمع البشري يكمن فى أنه يحقق وحدة المجتمع، من خلال أنه يمد الأفراد بمجموعة من القيم والغايات المشتركة ما بين البشر، إذن الدين هو رأس مال هام على نطاق الأفراد والمجتمعات، ورأس المال الديني قابل لعملية تدوير رأس المال، فممكن أن يتحول رأس المال الديني الى رأسمال اقتصادي أو أي شكل آخر من أشكال رأس المال، كما يمكن توريثه ونقله من جيل لآخر(٢٨). وهذا التدوير يعمل على مضاعفة ومراكمة المنافع المردودة من رأس المال الديني.

والدين يفهم على انه مجموعة من المعاني التى يمكن ان تشكل رأسمال، له كل خصائص رأس المال، وأول هذه الخصائص ان المعاني الدينية تعيد انتاج نفسها عن طريقين، الأول هو تراكم المعاني عن طريق الاتساع، اي تنتشر المعاني بين مساحة اكبر من البشر، الثاني أن المعاني يقيد انتاج ذاتها من خلال التجدد عن طريق قراءتها وتأويلها لتوليد معاني جيددة كانت كامنة فيها بما يلائم اوضاعًا اجتماعية متجددة، وبالتالي فإن عدم الاقدام على إعادة تأويله بحسب الواقع المتجدد لاستكشاف المعاني الكامنة والمتعلقة بمختلف جوانب هذا الواقع، من شأنه ان يجمد المعاني الدينية فيجعلها غير قادرة على التجدد واعادة الانتاج، وذلك بسبب التمسك بحرفية النص مما يورث المعاني الدينية حالة من التصلب والجمود الأمر الذي يعوقها عن الانتشار فى دوائر أوسع(٢٩).

كما أن المعاني طاقة رمزية دافعة للفعل، تحتوي الأديان على كثير من المعاني التى تحدد رمزية خلق الله للكون ووضع الإنسان فيه لإعماره وتحقيق مجد الله فيه حسبما يذهب العالم العربي عبد الرحمن بن خلدون فى مقدمته وعالم الاجتماع ماكس فيبر. ومن شأن هذه المعاني أنها تخاطب كل البشر وليس مقصورة على فئة من البشر. ومن ثم يصبح الدين على ما يذهب ماكس فيبر مصدر لتجديدات

وإبداعات كثيرة تسهم على المدى البعيد فى تأسيس تكامل المجتمع، ومن ثم تصبح الديانة في بعض المجتمعات أساسًا للتنظيم الاجتماعي، وليست أحد تجلياته أو مظاهره فقط، وفى هذا الإطار فإننا نجد أن هذه المعاني تضم عادة القيم والأفكار والمبادئ التى تشكل محور الدين، والتفسيرات أو التأويلات التى تتعلق بذلك. وتتغلغل هذه المعاني فى واقع البشر فتشكل مرجعية لسلوكياتهم الاجتماعية فى مختلف المجالات.

غير أن التفاعل قد يسير فى اتجاه عكسي حيث قد تعمل الظروف فى اتجاه هدر رأس المال الديني. وبذلك تعمل المؤسسة والصفوة الدينية اتجاه فرض الجمود على رأس المال الديني، بحيث تجعله محافظا غير قابل للتداول عبر التفاعلات اليومية، ومن ثم فاقدًا لفاعليته او حينما تتجه الأنظمة السياسية لاستغلال الدين فى فرض خضوع العامة، حيث لا يدركون من الدين سوى الخضوع لولي الأمر، ومن ثم تفرض حالة من الإفقار الديني على العامة، حيث يلعب الدين دوره فى حدود الدنيا فى توجيه أفعال البشر، بل يحدث أحيانًا إزاحة الدين كلية من الساحة الاجتماعية الى نطاق الضمائر الفردية وأحيانا مشوهًا. يضاف إلى ذلك فإن التطرف بالدين وتأويله بحيث يتجه الى التعصب والعداء للآخر إنما هو نوع من انقاص قيمة الدين وتشويه مضامينه، بل ودفعه فى اتجاه التآكل والتناقص(٣٠).

ومن الواضح أن نظام الأزهر وعلماؤه لديهم نظام معرفي متكامل إزاء كل العقائد والطقوس، وذلك يتوقف على امتلاكهم لمصدرين هامين كالآتي:

أ - تفسير القرآن وإعادة تأويله:

وكان فيبر فى تطبيقة للصفات الكاريزمية على الديانة المسيحية، يوضح انتقال الكاريزما من المسيح للأتباع التاليين كما فى حواريو عيسى، عن طريق انتقال بعض السمات التى يصف بهم فيبر المناصرين والاتباع، فلم يكن حواريو يسوع مجرد جامعين للألفاظ النبوئية من النبى، بل لقد تلقوا تراثا من النبى أو المعلم، وكان يتوقع منهم ان يسلموه للبشر (تسليم التراث)، أى سرد التراث والتأكد من دقته(٣١). اما فى التراث الإسلامى فمهمة الاتباع لبس تسليم التراث فقط بل تفسير وتأويل هذا التراث.

ورغم أن الاستعانة بالنصوص القرآنية ونصوص الأحاديث النبوية تعد آلية أساسية فى إثبات أهمية الموضوع وصحة الافتراضات التى يقوم عليها، إلا أن الاعتماد على النصوص يظهر بشكل أوفر فى الخطاب الصادر عن أفراد لهم أصول أزهرية، بينما يقل الاعتماد على النصوص القرآنية فى الخطاب الثقافي وفى خطاب الدعاة الجدد، وتضفي النصوص على الخطاب هيبة خاصة، وتمنحه مصداقية وتكسبه قوة وقدرة على الاقناع، اي انها تكتسب قداسة خاصة عبر إعادة انتاجها بشكل مستمر حتى تتحول الى نصوص مرجعية(٣٢).

القرآن هو كلام الله الأزلي والمحفوظ في أم الكتاب وهو وحي منزل إلى الأرض بصفته الجزء المتجلى والمرئي والمُعبر عنه لغويًا والممكن فهمه وقراءته، فهنالك ضرورة للتمييز بين مستوى الوحي المتعالي كليًا، والمستوى المتجلي تاريخيًا في لغة بشرية معينة من خلال حروفها وأصواتها، نحوها وصرفها وطرائق تركيبها للجمل والنصوص، ما يعني أن القرآن في جانبه المتجسد والمتحين هو حدث لغوي، ينتمي إلى لغة العرب، التي هي عبارة عن بناء رمزي خاص وكيان مستقل من العلاقات الداخلية تحدد استعمال الأصوات وطرق التعبير والتواصل(٣٣).

وبالتالي فالنص القرآني ما هو إلا تجلي لقراءة العالم الغيبي للواقع الأرضي لكي يعطيهم رؤية كونية عن مجمل التوجهات الواجب الالتزام بها، فضلا عن بيان وتوضيح حركة الواقع الاجتماعي الذي يتدافع فيه المقدس والمدنس الغيبي والأرضي ليفرز بعد ذلك بين دلالاتهما وطرائقهما الكامنة في النفس البشرية والتنظيمات الاجتماعية والمحركات الذهنية. كما يمكن رصد الدلالات الاجتماعية الكامنة فيه والتي تعبر عن الوقائع الاجتماعية ضمن سياقات لغوية ترصد فعاليات المجتمع كافة برؤية نصية مكثفة تعبر عن مجمل تلك الحركات والأفعال الفردية والجمعية على حد سواء، لأنها في حقيقتها تجلي للمقدس في واقع الناس العادي الذي يكتنفه الكثير من المدنسات.

ولكن هذا النص القرآني يحتاج إلى أدوات معرفية لكي يُفهم بطريقة موضوعية، بمعنى أنه لا يمكن سبر أغوار هذا النص من دون الاسترشاد برؤية منهجية يستعين بها المتلقي للنص القرآني من أن يدرك المعاني المتضمنة في سياقات النص القرآني، فضلا عن كونها معانٍ ذات مستويات متعددة، وقد شكل تعدد المعنى مدخلا للحديث عن النشاط الذي يزيد عن نشاط التفسير اللغوي، في مسعى للكشف عن معاني النص، فكان الحديث عن التأويل، الذي يعد بمثابة ذلك الجهد الزائد الذي يمارسه المفسر أو عالم النص الديني للوصول إلى المراد من النص الذي لا تكشف عنه غالبًا قواعد الدلالة في البيان العربي، بل يصل الكشف عنه بجهد ذهني أو عقلي، وقد عقد لهذا الغرض مباحث تتعلق بحقيقة التأويل وشروطه والعلاقة بين التفسير والتأويل(٣٤).

ويقسم أهل الاصطلاح من علماء الأصول والمصنفين التفسير إلى مراتب متعددة ومتنوعة، فالتفسير المخصوص بالعناية العلمية هو الموسوم بعلم التفسير، التفسير علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه(ص) وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه، ويحتاج لمعرفة عملية التفسير بالشروط الموضوعية للتفسير، وأغلبها شروط تاريخية تتعلق بأسباب النزول وكلام العرب(٣٥).

نفهم من ذلك كله أن التفسير يُحيلنا إلى مجموعة معرفية شاملة تعبر بمجملها عن بنية الجماعة اجتماعيًا وسياسيًا وثقافيًا، على اعتبار أن مجموع هذه المعارف لا تعدو أن تكون تعبيرًا عن كونية النص القرآني الذي تنزل إلهيًا ليُفهم ويُدرك اجتماعيًا ضمن أدوات العصر المعرفية، التي تعبر عن أمرين مهمين هما : أولا : تطور الذات الإنسانية المنتجة للأدوات المعرفية القارئة والمفسرة للنص القرآني، وثانيًا : تعبر عن معطى أنسنة النص الإلهي عبر التفاعل معه اجتماعيًا لأجل التماهي معه بشتى الوسائل. وذلك لأن غاية النص القرآني هي الوجود الإنساني برمته عبر منظومته اللغوية التي تشكل محور الاجتماع الإنساني.

ب – تفسير السنة النبوية وأحاديث الرسول(ص)

ويأتى تفسيرهم لأحاديث الرسول بنفس أهمية تفسير القرآن، ومحاولة توضيح السياق الاجتماعى للأحاديث وقت نطقها من الرسول(ص)، ويأتى شرحهم لتلك الاحاديث نتيجة امتلاكهم ناصية اللغة العربية وخاصة القريشية منها.

والحديث النبوى أو السنة النبوية هو ماورد عن الرسول (ص) من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خُلقية أو خَلقية أو سيرة سواء قبل البعثة أو بعدها، وهما المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن. والحديث خصوصًا والسنة عمومًا مبنيان لقواعد وأحكام الشريعة ونظمها ومفصلان لما جاء مجملا فى القرآن، ومضيفان لما سكت عنه، وموضحان لبيانه ومعانيه ودلالاته، ويستمد منهما أصول العقيدة والاحكام المتعلقة بالعبادات والمعاملات بالإضافة الى نظم الحياة من أخلاق وآداب وتربية[٣٦].

٢ – الرغبة في الاستمرار والديمومة :

إن المسألة الكبرى للهيمنة الكاريزمية هي مسألة الخلافة والاستمرارية، كيف يمكن إدامة النظام بعد موت القائد، وذلك لأن اتباع القائد صاحب الكاريزما الدينية، كما لهيئة أركانه مصلحة دينية ومادية وفكرية في إدامة هذه الهيمنة. إن مسألة امتلاك الكاريزما وفق التفسير الفيبري لا يمكن لها الاستمرار في بعض الأحيان، إذ قد تصيبها بمرور الوقت إخفاقات معينة، ضمن سياقات ممارساتية قد تشعر بها الجماعة أو الجماهير، وبالتالي توحي لهم بفقدان ذلك القائد الكاريزمي لقواه الاستثنائية[٣٧].

فالمسالك التي سلكتها مختلف الأديان العالمية من زاوية تنظيمية، حتى ساعة رحيل القائد الكاريزمي بحسب فيبر هي الآتية:

أولا : إما عبر الاختيار (في الأصل ليس انتقاءً بل انتخابًا بحسب الكاريزما)، ويخلق الاختيار نظريًا تنظيميًا ينحو فيه مبدأ السلطة إلى الانتقال من شخص إلى آخر محدثا نمطا من العلاقات الداخلية مترسخة في أشكال نموذجية للفعل الكاريزمي (أي يتركز على أصالة ومركزية وجود زعيم تتلخص في شخصه شمائل القائد الفذ والراعي للأرواح).

ثانيًا : عبر الإيمان بخصال كاريزمية للسلالة، وبالتالى فالكفاءة الكاريزمية للسلالة هى إجراء معقد يلحق أثره كافة أفراد العائلة الممسكة بزمام السلطة الكاريزمية لمؤسس الدين.

إن جوهر أطروحات فيبر إنما ترتكز على تحويل معالم التجربة الدينية الذاتية لصاحب الكاريزما (النبي) من معطى روحي / تشريعي خاص بمرحلة تلك التجربة، إلى معطى واقعي / تنظيمي، أي يسعى الأتباع لتثبيت معالم تلك التجربة القائمة أساسًا على شخص واحد بعينه وهو النبي، وهذا الأمر لا يتم إلا بعد رحيله عبر أسس وضوابط جديدة، أما انهم يقومون باجتراحها وتوليدها، أو بما أوصى به في بعض المواقف التي مروا فيها، والتي حدد بموجبها الوريث الشرعي له، والذي من الواجب على بقية الأتباع الانصياع التام له، لأنه يمثل كاريزما النبوة بسائر تجلياتها (الروحية / التشريعية / الدعوية / الاستثنائية /... إلخ).

وفي الاشتغال على ما اصطلح عليه فيبر (روتينة الكاريزما) التي كانت تبحث في أمرين مهمين هما : توحيد الجماعة المسيحية (الإسلامية من وجهة نظر الدراسة) الأولى وترتيب نظامها اللاهوتي والتعبدي، والأمر الآخر إمدادها بعامل الديمومة الرئيسي لأي تنظيم ألا وهو العامل الاقتصادي[٣٨]. وكان العامل الاقتصادي (حسب تصورات فيبر) يتجه إلى الميل إلى تمأسس الكاريزما وتبعات الرسالة التي كانت تحتاج إلى دعم مالي مستمر (سواء كان صدقات وهبات وتبرعات او زكاة) وذلك لأن القديسين والرسل كانوا بحاجة إلى مركز ينطلقون منه في تأدية نشر الرسالة، وهذا يعني الحاجة إلى دعم مالي مستمر.

ولكن تظل مسألة الاستمرارية هي الشغل الشاغل فهم يسعون إلى أن تظل معالم التجربة الدينية للمؤسس (النبي) وبكل حيثياتها قائمة، ويرى فيبر أن الدوافع وراء هذا النزوع إلى الاستمرار تكمن في المصالح المعنوية والمادية الخاصة بالأتباع وخصوصًا مصالح الزعامات بينهم.

هذا معناه وجود الرغبة في الاستمرار بقدر الإمكان في ظل ظروف جديدة من التجربة الدينية الأصلية. ومن هنا، تصبح أزمة الاستمرارية هي أزمة خلافة. ويؤكد فيبر أن الوسيلة التي تتم بها مواجهة هذه الأزمة، تعتبر ذات أهمية حاسمة بالنسبة إلى الصفة التي تتسم بها العلاقات الاجتماعية اللاحقة[٣٩].

لقد أشار فيبر إلى العلاقة التي تجمع القائد الكاريزمي والأتباع، والتي هي بنظره علاقة عاطفية ترابطية Communal، وترتبط بمشاعر شخصية جدًا، ولذلك فإن الهيمنة الكاريزمية لا يمكن إخضاعها لروتين العمل اليومي أو مساواتها بأعمال القادة الآخرين العاديين.

فالرسالة المسيحية قد حققت انتصارات لا بأس بها، فكانت بحاجة إلى استبدال طراز حياة الرسل والقديسين والأتباع الآخرون من حياة التنقل والترحال الدائم، وإجراء العبادات والطقوس من بيت بعض المؤمنين إلى طراز جديد يعتمد على

مراكز دينية مختصة للعبادة وحياة الرسل، ليدخلوا في حياة الكنيسة التي تعتمد على الرواتب المحددة أو العطايا التي تمنح بموجب تسلسل كنسي مذهبى مرتبي النزعة[٤٠]. وهناك منحى آخر اتخذته الكاريزما في الدين المسيحي من حيث الموضوع (المواهب الإلهية للمسيح) الخارقة لعالم الطبيعة، إلى موضوع (الشهيد) كموضوع الكاريزما.

والشهداء المسيحيون الأوائل ما هم إلا قديسون، نالوا تلك القدسية أي الكاريزما العليا بعد نيلهم الشهادة، لأنهم سيكونون جلساء المسيح وشركاء ملكوته ومشتركون معه في الدينونة والقضاء هم وحدهم يعدون ذرية أو أولاد الشهداء بأنهم أصحاب كاريزما لدرجة عدهم قديسين[٤١]. فكانوا بمثابة الطلائع الأولى التي ورثت كاريزما النبوة للمسيح. فالكاريزما أصبحت وفق هذا الإطار الكنسي يتم اكتسابها عن طريق التدريب والتأهيل والاختبارات الدينية العالية، وأصبح هنالك مصطلح (القديس) والذي انبثق في ظل الكاريزما الكنسية بدلا من مصطلح الرسول الذي يرمز به إلى حواري المسيح وأتباعه الأوائل أو الجيل الثاني، وذلك بعد وفاة جميع الرسل.

وبعبارة أدق وبحسب قول غورفيتش عن الكنائس بوضعها إطارات اجتماعية للمعرفة تتوقف في المقام الأول على طابع معتقداتها المنزلة وعقائدها والمنتسبين إليها والطقوس المفروضة على المؤمنين، وعلى ممارسات هذه الطقوس، وهي تتوقف في المقام الثاني على اتساع المتحدات الصوفية التي تتجسد فيها، وهي تتوقف أخيرًا على البنى والتنظيمات المتناسبة مع هذه المعتقدات والعقائد والطقوس والممارسات. وتعد الكنائس بحسب ماكس فيبر مؤسسة دينية مميزة للخلاص والنجاة في الحياة الأخرى، تتوافر على إدارة بيروقراطية تهتم بممتلكاتها وتمارس سلطتها على من يعيشون تحت إمرتها[٤٢].

فبين المعرفة الدينية الكنسية وبين عملية التكريس[٤٣] بدأت الكاريزما تدخل في ظل سياقات تنظيمية جديدة، بحيث أصبحت تنال بمرسوم كنسي خاص يمنح لمن يستحق لقب القديس، إذ أن هذا اللقب يعني بالضرورة أن صاحبها مالك للكاريزما، وكانت الكنيسة تقاد بوصفها فرعًا من الادارة السياسية للحكومة، الآلهة والقديسين هم لاهوت الحكومة وعبادتهم هى شئون حكومية، والآلهة والعقائد الجديدة تقبل أو ترفض بمطلق الحرية من قبل السلطات السياسية، وهكذا وبشكل عام نجد أن الكاريزما أصبحت في قبضة المؤسسة (الكنسية السياسية) بعدما كانت مشاعًا للصالحين من أتباع المسيح.

وقد طالبت الكنيسة بمكانة ومعاملة خاصة داخل الإمبراطورية ولقد عبر فيبر عن تلك المرحلة قائلا : من أجل حماية وتنظيم شأن الكاهن الكنسي، فقد طالبت الكنيسة بحصانة من السلطة الشرعية أو القضائية الدنيوية وحريته من فرض الضرائب وأداء الواجبات العامة الأخرى التي يؤديها المواطن العادي، كما طالبت بإنزال العقوبة الصارمة على كل الذين يظهرون قلة احترام نحوه[٤٤].

ويحدثنا المؤرخون على أنه لما أضحى وضع الكنيسة معترفا به من الناحية الرسمية، لم تلبث أن غدت مالكا للأرض، وبذلك فاقت ثروتها الارستقراطية السناتورية في الإمبراطورية الرومانية المتأخرة، وأضحى لها الضياع المبعثرة في سائر أنحاء العالم.

كثيرًا ما كان الاجراء المستخدم لمأسسة الكاريزما موضوع جدليًا في علم اجتماع الدين، وقد تم التوصل إلي أن دين ما ربما تكون قد تمت مأسسته بواسطة ثلاث عوامل مختلفة: المؤسس نفسه، قائد ثان أو تابع جاء في وقت لاحق أو أخيرًا مجلس ديني. تمثل كل حالة من الحالات الثلاث التالية واحدة من تلك الصيغ الثلاث للمأسسة. أولا، في حالات عدة كان القائد المؤسس نفسه ذو دور فعال في مأسسة دينه، وتتمثل الحالة الثانية في قائد ثان أو قائد يأت في وقت لاحق ينظم تعاليم المؤسس ويضفي على الدين الطابع المؤسسي. في مثل هذه الحالة سوف يدعي القائد عن حق أو عن غير حق أن القائد الكاريزمي قد عينه لتولي زمام السلطة في الدين المبتدئ، ففي الإسلام مثلا حدث انقسام بعد موت النبي محمد مباشرة عندما أقرت القوي السياسية أبو بكر كقائد ثاني بينما تم اختيار علي كوريث شرعي لمحمد بحكم قرابته للنبي، وفي النهاية تم تأسيس اثنين من التقاليد الدينية، هما السنة والشيعة، يستمدان سلطتهما من محمد ولكن بطريقتين مختلفين. وأخيرًا، يأتي النوع الثالث من عوامل مأسسة الأديان ولكنه هذه المرة لن يكون فردًا بل مجلس ديني تتمثل مهمته في توحيد الدين[٤٥].

أما تمأسس كاريزما علماء الأزهر الممتدة من الرسول(ص)، فان هذا الأمر لم يحدث دفعة واحدة، بل مر بأطوار ومراحل كثيرة، حيث استغرقت ردحًا طويلا من الزمن. يبدأ تاريخ الأزهر بأسلمة المجتمع المصري ونشأة الجامع الأزهر بتوجه سياسي – ديني للمجتمع المصري. فقد مر الأزهر طيلة التاريخ الحديث والمعاصر بمحاولات عدة لإصلاح أوضاعه سواء كانت إدارية تتعلق بهيكلة وضعه المالي أو التشريعات التي تحكم حركته، أم كانت تتعلق برؤيته الدينية ومناهجه التعليمية. ولابد أن نضع في اعتبارنا لدراسة الأزهر مكونات مؤسسة الأزهر من الداخل وعلاقته بخارج المؤسسة وهم كالآتي :

١ – شخصية شيخ الأزهر من حيث فهمه للواقع السياسي وإلى أي اتجاه يميل انحيازه الفكري والنفسي للجماهير الغفيرة ومصالحها أم لمصلحته الذاتية مع السلطان وحاشيته.

٢ – طبيعة السياق الاجتماعي – السياسي السائد وخاصة أن المجتمع المصري، كان ولا يزال ينتظر رأي الدين فيما يجري اجتماعيًا وسياسيًا.

٣ – شخصية الحكام أنفسهم، فمنهم من لجأ إلى الأزهر لكسب الشرعية، وهناك من استمد شرعيته من روافد أخرى، وهناك من كان يؤمن بأن للدين رؤية سياسية واجتماعية، وهناك من أراد له أن ينكفئ على أمور العقيدة والعبادة مبتعدًا عن الهموم والأحوال الحياتية.

وقد حاول أغلب من تولوا مشيخة الأزهر تطويع رأي الدين لخدمة السياسات السائدة، فشلتوت أفتى بأن القوانين الاشتراكية لا تتعارض مع الإسلام، والدكتور محمد الفحام الذي تولى المشيخة في الفترة من (١٩٦٩ – ١٩٧٣) اعتبر أن الانقضاض على الاشتراكية بمقتضى ما أسماها السادات ثورة التصحيح عام ١٩٧١ هو خطوة تأتي من أجل كفالة الحريات للوطن والمواطنين وسيادة القانون وبناء لدولة جديدة.

وكاريزما الأزهر كجامع وجامعة جاء عبر إضفاء مسحة من القداسة له، وأما علماؤه فمسحة القداسة تأتي لهم من خلال جامعته أولا، ثم الوظيفة ثانيًا، وبذلك يحول الكاريزما الشخصية لمؤسس الدين نحو مؤسسة تضمن السير الموضوعي والثابت للخلافة، ومن يتولى مهام الخلافة يكتسب كاريزما الوظيفة، فلا تنتمي السلطة إلى الفرد، بل إلى المؤسسة التي ينتمي إليها ويشغل جوهريًا أعلى المناصب الوظيفية في تراتبيتها. مع ملاحظة انه كلما ارتفع الفرد عبر البناء المهنى الرسمى كلما ازدادت علاقته بعالم النظم وتعقدت.

والشيء اللافت للانتباه ضمن سياقات الكاريزما الدينية الإسلامية، هو استمرارية الاتباع في ممارسة النمطية التكرارية لذات النبوة، عندما كان يدعو الناس إلى نبوته ورسالته ولذلك معنيين مهمين بالتطبيق على كاريزما الأزهر :

١ – أن تكرار علماء الأزهر لذات الممارسات التي كان يقوم بها النبي تأكيد لحقيقة أنهم ورثته الحقيقيون، لأنهم يماثلونه ويشابهونه في ذات ملكات الكاريزما.

٢ – أن استمرار الدين الإسلامي لا يمكن إلا عبر ممارسة كاريزمية متعددة لإقناع الناس أنهم يمثلون المقدس، وأنهم امتداد واقعي له على الأرض وهم بذلك يوحون للناس أنهم مؤيدون من الله عن طريقين هما البركة والكرامة. وقد ظلت الكرامة وعالمها أو مجالها التي انبثقت عنه ألا وهو التصوف الإسلامي محكومة في إطار الإسلام الأيديولوجي المصنوع من قبل الفقهاء والسلاطين واللذين تقاسما السلطتين.

كما ترتبط استمرار الكاريزما بمفهوم «البركة»، والتي ورد ذكرها في القرآن والأدبيات الإسلامية، والتي تشير في معانيها إلى الكثرة والسعة في الأشياء المادية والمعنوية، فضلا عن كونها تشير إلى الديمومة والاستقرار في أدائها لعملها بالنسبة لأي شيء تحيطه عناية ورعاية الله. ويعتمد فيبر على الأطروحات الأنثروبولوجية ذات المصادر الأثنوغرافية في هذا المجال ليعطينا صورة تحليلية تحمل في معانيها استدماجًا لقضية البركة مع الكاريزما والتي يجدها تظهر بأشكال متعددة. فنجده يوضح أن البركة تشير إلى قوى معينة تتمتع بخاصية فوق الطبيعية، إنما ناشئة عن حقيقة أنها ليست خاصة بأي شخص، وإنما هي مرتبطة مع بعض الحامين لها المحددين من الأشخاص.

وقد تستمر ديمومة الكاريزما من خلال الطقوس المحافظة على قدسية الأحداث الدينية وبركاتها من أي تدنيس ينجم جراء توالد الأجيال والثقافات وأنواع الاحتكاكات الحضارية، ويفسر ويستر مارك قضية البركة من خلال النسب مثلا، أي في كل من يدعي انتسابه إلى نبي أو ولي معين يستمد منه البركة عبر التوارث الدموي، فلهذا فهو يجد أن من يمتلك درجة غير عادية يطلق عليه من الأشراف وكأن البركة عملية إعادة تراث النبي وللولي بصيغة التوارث، أى بمفهوم أصحاب الدماء الكاريزمية.

٣ – الحنين إلى الماضي (النوستولوجيا)

فإذا كان النقد يحمل الذات على التوحد بالآخر (الغريب) فإن الحنين إلى الماضي يحمل الذات على التوحد بالماضي (التاريخي)، وكثيرًا ما يظهر الحنين داخل مواقف كثيرة وموضوعًا للحديث داخل هذه المواقف[٤٦]. والحنين إلى الماضي يرتبط في كثير من المواقف بالحديث عن الإسلام، ذلك المثل الأعلى المفقود.

وهنا يظهر في لغة الخطاب اليومي معنى التاريخ، أو بمعنى آخر علاقة التاريخ بالخطاب. وأن سرد الأحداث التاريخية في ال خطاب يخلق حوارًا من طرف واحد، حيث يتحدث صاحب الخطاب ويصغى الباقون للحديث، لأن صاحب الخطاب هو الأكثر تعليمًا فيما يخص هذا الفرع من الحديث، وإذا تواجد أكثر من شخص في موقف الحديث الذي يتم فيه تذكر هذا التاريخ، فإنهم يكملون بعضهم البعض، بل لوحظ في كثير من هذه المواقف أن واحدًا من هؤلاء الذي يسردون حديثا معينًا يعطي الكلمة لآخر يعتقد أنه أعرف منه بالموضوع.

ويمكن القول أن الحنين إلى الماضي يعبر عن ثلاثة أشياء، أولا : حدة وقوة الذاكرة التاريخية للخطاب اليومي الديني، وأن هذا الخطاب لا ينسى تاريخه، ويظل هذا التاريخ يلاحقه في الحاضر، ومن ثم فإنه يظهر من حين إلى آخر في الخطاب اليومي المعاصر. وثانيًا : يعبر ذلك عن عجز الحاضر عن تحقيق المثالية في عالم الحياة الدنيا، وهنا يكون الحنين إلى الماضي وسيلة للهروب من الواقع ونقده بشكل مباشر. وثالثا : الحنين إلى الماضي هي إعادة إنتاج المكانة والنفوذ للإسلام والمسلمين.

وترى الدراسة أن علماء الأزهر إزاء استرجاع تاريخ ديني تتم قراءته برؤية سوسيولوجيا الشرعنة التي تلجأ إليها الجماعات الدينية المتنوعة حينما تعيد صوغنة الماضي واستعادته بما يتلاءم ورؤيتها الثقافية / الجغرافية الخاصة بها في كيفية إنتاج أو توليد البنى الاجتماعية المتنوعة.

وهكذا ترتبط منشآت النشاط البشري المؤقتة في جوهرها بمظهر استمرار واستقرار أزلي، وبعبارة أخرى يسند إلى النواميس التي أنشأها الإنسان حكم كوني[٤٧]. وانطلاقا من فكرة أن الإنسان الذي يصنع تاريخ الحاضر هو نفسه حامل تاريخ الماضي، ومن ثم فإن ذاكرة الماضي تتسرب إلى حياتنا اليومية، وتظهر في

مواقفها المختلفة، تظهر في خطابهم وفي ممارساتهم السياسية وفي تصوراتهم عن المستقبل، والجانب الأكبر منه يظل مختبئًا في اللاشعور ويؤثر تأثيرًا كبيرًا في حياة الأفراد وتصوراتهم وأيديولوجياتهم.

ومفهوم عالم الحياة اليومي عند الفينومينولوجيا تبدأ بالعالم الذي يحيط بالفرد وتنتهي بالعالم الذي لا يستطيع أن يتحكم فيه، وتتوزع هذه العوالم عبر المكان وفقا لحركة الفاعل اليومية حيث تبدأ بعالمه الخاص الذي يعرف عنه كل شيء وتمتد من هذا العالم الخاص عبر كل الأمكنة التي يتحرك فيها الفرد، كما تتوزع العوالم زمنيًا حيث تبدأ من العالم الفعلي الحالي الذي يعيش فيه الفاعل وتمتد إلى عالم الأسلاف أو الأجداد الذي يعيش معنا ويحكمنا دون أن نتحكم فيه(٤٨).

٤ ــ الوصائية :

تهتم الدراسة هنا باحساس علماء الأزهر بالوصاية على المجتمع وعلى أفراده، بل على الدين كله وبالتالى على معتنقى هذا الدين من المسلمين، وتتمثل الوصائية في مظهر عدم عرض الآراء المختلفة للأئمة الأربعة والاكتفاء بعرض أحد الآراء المقتنع بها العالم الأزهري وتبريرهم في ذلك (عدم قدرة الآخر في الفهم والاستيعاب).

وأيضًا تظهر الوصائية في تدعيم آراء النظم الحاكمة في التشدد وسجن الحريات كما حدث مع فاطمة ناعوت وإسلام البحيري تحت حجة (إزدراء الأديان)، وترى الدراسة أنها كانت محاولات للفكر والنقد تستحق الحوار الفكري بين هؤلاء وعلماء الأزهر.

٥ ــ التمايز المهني:

وفى إطار التمايز المهنى، تبدو على السطح ثنائية النخبة والجماهير، وهى ثنائية مضمرة فى الخطاب، حيث يفترض الخطاب أن ثمة صفوة عارفة، وأن ثمة جماهير تحتاج إلى من يعلمها ويقودها، ويظهر هذا الميل نحو النخبوية بشكل واضح فى الخطاب ذي النزعة النقدية، حيث تظهر الذات الناقدة وكأنها ذات متعالية تخرج نفسها من دائرة النقد، وكأنها تنادي من خارج المجتمع الذي تتعامل معه(٤٩). إن خطاب الحياة اليومية هو حوار مكانات فالأفراد يتحاورون بمكانتهم وبرموز هذه المكانة كالملبس (العمامة الأزهرية) ونوعية اللغة المستخدمة في الحديث، وفي هذه الحالة يكون التبادل الحواري غير متكافئ إذا ما تواجد أفراد من مكانات متباينة، وتصبح عملية التراكم الرمزي أحد المنتجات (أو المردودات) الرئيسية للتفاعل.

والخطاب الديني في الحياة اليومية يدعم عناصر اللاتكافؤ ويتحول إلى خطاب يتداول بين مكانات وليس بين أشخاص، ففي معظم المواقف يميل بعض الأزهريين نحو تعريف الآخر بأنهم أصحاب مناصب دينية ذات قوة وتأثير في الآخرين. كما ينظر الأزهريون إلى مهنتهم بإعتزاز شديد ويحاولون دائمًا أن يعرف الآخرون قيمة المجال الذي يعملون فيه، وتتخذ مهنة الأزهريون مجالا للفخر والتميز. ويساعدهم على ذلك نوعية اللغة المستخدمة في الخطاب.

الإطار المنهجي للدراسة :

تعتمد الدراسة على تحديد خصائص خطاب الحياة اليومية الديني في موقفين هامين هما الخطاب الديني داخل المساجد من خلال خطب الجمعة، والخطاب الديني الذي يبث عبر قنوات دينية متخصصة كقناة الأزهري. ولن تكتفي الدراسة بهذا الوصف التصنيفي لخصائص ومواقف الخطاب الديني، أيضًا نعتمد على التأويل، ونقصد بالتأويل محاولة فهم المعاني غير الظاهرة لما هو ظاهر، ومن ثم فإننا سوف نحاول أن نهتم بالمادة الملموسة، وأن نربطها بأطر تحليلية أوسع وأن نكتشف فيها بعض الدلالات والمعاني التي ربما لم يكشف عنها بشكل مباشر. ولن نستطيع أن نحقق هذا الهدف التأويلي إلا من خلال تحديد بعض الأبعاد المفسرة التي يمكن أن تساعدنا في تأويل الحقائق.

كما تعتمد الدراسة على تحليل القصدية التواصلية، وتعني القصدية توجه العقل نحو قصد معين، ونحو تأكيد معني معين يظهر فى اللغة، وهى تعكس المخططات العقلية للمتحدث أو لكاتب النص، وتوقعاته تجاه المستمعين أو المتلقين، وترتبط القصدية ارتباطا وثيقا بالعمليات المعرفية التى يقوم عليها انتاج النص، وتتحول القصدية الى نوع من المقاصد الانعكاسية، فالمتحدث يقصد أن يدرك المتلقي قصده، والمتلقي يدرك ان الكاتب او المتحدث يقصد الى توجيه رسالة معينة، فكأن كل منهما مرآة للآخر، وان هذه القصدية مفيدة فى تحليل الخطاب الديني الذى يعد خطابًا قصديًا بالضرورة فهو خطاب دعوي له قصد أول وهو ترسيخ العقيدة فى أذهان المتلقين، وربطهم ربطا عضويًا بمعتقداتهم وتراثهم الديني، وهناك أيضًا قصد عام ترتبط به مقاصد فرعية عديدة كإصلاح حال المجتمع، والقضاء على صور الانحراف(٥٠).

وقد يكون القصد العام مرتبطا بهدف شخصي مثل رفع شأن علماء الأزهر وتثبيت قدرهم لدى المستمعين او المتلقين، وقد يكون هدفا مرتبطا بالدولة وبالسياسة العامة داخل الدولة مثل الحفاظ على أمن واستقرار المجتمع وبقاء النظام السياسي دون غيره من الأنظمة.

أدوات جمع البيانات:

اعتمدت الدراسة على أداتين رئيستين :

أ – الملاحظة : حيث قامت الباحثة بملاحظة خطاب الحياة اليومية الديني من خلال مسجدين بالقاهرة الجديدة (موقع سكن الباحثة) حيث صمم المسجد بصالة للصلاة كبيرة للرجال، وصالة أخرى للسيدات، بحيث تكون صالة السيدات مطلة على صالة الرجال، وتستطيع من خلالها الباحثة مراقبة الخطاب الديني للحياة اليومية لشيوخ الأزهر بهذين الجامعين، وامتدت الملاحظة لمدة شهر ونصف وتدون يومًا بيوم، مع الاستعانة بباحثين شباب فى حالة تعذر ملاحظة الباحثة للخطاب اليومى الدينى.

ب - صحيفة تسجيل الموقف : انقسمت صحيفة الموقف إلى ثلاثة أقسام رئيسية : بيانات أولية عن مكان وزمان الموقف وخصائص كاريزما التبوة لدى الشيخ الأزهري فيه، ثم موضوع الموقف، ثم تعليق الباحثة.

ولقد خصصت هذه الصحيفة لتسجيل خطاب الحياة اليومية من خلال الأحاديث الازهرية في الحياة اليومية (وقتما تحدث نقاشات بعد انتهاء الصلوات الخمس أو قبلها وكذلك من خلال خطب الجمعة) عبر نفس اليوم، مع تدوين زمن الحديث ومكانه، ولقد خصصت مساحات لهذه البيانات في أول صحيفة التسجيل، وبعد ذلك تبدأ الباحثة في تسجيل موضوع الحديث في مساحة كافية خصصت لذلك في صحيفة التسجيل، ولقد تم تدوين الأحاديث بنفس لغتها ودون فرض أي تدخل من الباحثة، أما القسم الثالث والأخير من صحيفة تسجيل الموقف، فقد خصص لتعليق الباحثة، أو أي إضافات تفيد الباحثة، ويعتبر هنا اللجوء إلى المنهج التوثيقي الذي يمكن الباحثة من تسجيل مواقف في الحياة اليومية كالمحادثات والمناقشات وأشكال التبادل المختلفة.

وقد خصصت الباحثة ملفًا خاصًا لمواضيع الأحاديث التي يتبادلها الأفراد مع علماء الأزهر في حياتهم اليومية، وآخر للآيات القرآنية والأحاديث النبوية والقواعد الشرعية المستدل بها اثناء الحديث، وثالثا لخصائص التى تشير الى خصائص كاريزما النبوة كما تحددت فى الاطار النظرى، كما أن هناك مجموعة من الباحثين الذين قاموا بتسجيل الأحاديث في صالة الصلاة للرجال، وقد روعي أن يكون مجموعة الباحثين من الذكور، حتى يتسنى لهم البقاء في قاعة الصلاة للرجال.

عينة الدراسة:

قد تم اختيار العينة بطريقة العينة المتاحة عمديًا، والعينة هنا هو خطاب الحياة اليومى لعلماء الأزهر من خلال مواقف الحياة اليومية، وقد بلغ عدد المواقف التي سجلت حوالي ٥٢ موقفا، منها (٣٢ موقفا) بأحد المساجد، و (٢٠موقفا) بمسجد آخر، وكذلك تسجيل مايقرب من (٣٠) موقفا آخرون من خلال قناة ازهرى. بحوالي خطاب موقف للحياة اليومية الديني من شيوخ الأزهر يساوي (٤٧) شيخا من الأزهر. مع تحليل بعض خطابات من هم على رأس السلطة الدينية (وهم شيخ الأزهر وبعض مستشاريه ووزير الأوقاف ورئيس جامعة الازهر) وجاءت فى (٨مواقف)، وقد لجأت الدراسة الى تحليل خطاب بعض اصحاب القرار داخل الأزهر، حيث وجدته الدراسة ضرورة بحثية لارتباطن هؤلاء بتحليل أهم متغيرين من عناصر الدراسة وهما المرتبطين بسلطة الدولة وسلطة الأزهر كمؤسسة فى عناصر خطاب الحياة اليومى الدينى. وذلك لتوضيح كيف تتفق خصائص خطاب الحياة اليومى لعلماء الأزهر مع خصائص كاريزما النبوة عند ماكس فيبر. هذه الخصائص المتعلقة بكاريزما النبوة عند ماكس فيبر، ونجدها فى خصائص الخطاب الديني عند علماء الأزهر، نجدها فى موضوعات مختلفة بنصوص وجمل مختل فة فى خطاب الحياة اليومية لعلماء الأزهر.

وعند اختيار وحدة الزمان، راعت الباحثة ان يكون الزمن بعيدًا عن أي مناسبة دينية، لضمان حيادية الدراسة، حيث انه مع المناسبات الدينية الإسلامية يكثر الحديث عن هذه المناسبة تحديدًا، وبذلك سوف تأتي النتائج غير علمية، وبذلك اجريت الدراسة فى الفترة الزمنية من أول شهر أبريل حتى منتصف شهر مايو ٢٠١٦.

وقد اختيرت قناة أزهري، وذلك لأن معظم أو أغلبية مقدمي برامجها هم أزهريون، ويظهر عليهم الاعتزاز بالملبس الأزهرى، فيظهرون به فى معظم برامجهم، وقد اختارت الباحثة عينة البرامج بشكل عشوائي فخصصت ساعة يوميًا لمدة شهر (ثلاثين موقفا) لرصد موضوعات البرامج في أوقات زمنية مختلفة.

ولا تستطيع الدراسة أن تعرض لخصائص الخطاب الحياة اليومية الديني دون أن نصنف موضوعات المواقف التي درسناها على هذه الخصائص، وسوف نعتمد في هذا التصنيف التحليل الكمي والتحليل الكيفي في آن واحد، وليس هناك خطة محددة لدمج هذين الأسلوبين في التحليل ولكن سوف نلجأ إلى أي منهما عندما يكون ذلك مطلوبًا. وسوف نعول كثيرًا على تأويل ومحاولة فهم المعاني غير الظاهرة لما هو ظاهر، ومن ثم سوف نربط المادة الملموسة بأطر تحليلية أوسع وأن نكشف فيها بعض الدلالات والمعاني التي ربما لا تكشف عنها بشكل مباشر، ويتم هذا من خلال الإطار النظري الذي انطلقت منه الباحثة.

ونعرض في الجزء التالى مجموعة الخصائص التى تسم خطاب الحياة اليومية الديني، والتى استطاعت الباحثة أن تستخلصها من مضمون المواقف التى تناولتها هذه الدراسة من خلال الجداول التالية وتحليلها:

جدول رقم (١) توزيع المواقف وفقًا لمكان حدوثها

المكان	ك	%
الجامع	٥٢	٥٧.٧٨
مواقف عامة لبعض قيادات الأزهر	٨	٨.٨٩
بعض برامج التليفزيون على قناة أزهري	٣٠	٣٣.٣٣
المجمــوع	٩٠	% ١٠٠

جدول رقم (٢) توزيع المواقف فى المساجد

توزيع المواقف فى الجوامع	ك	%
خطبة الجمعة	٢١	٤٠.٣٨
بعد انتهاء الصلوات الخمسة	٣١	٥٩.٦٢
المجمــوع	٥٢	%١٠٠

جدول رقم (٣) تنوع موضوعات الخطاب

الموضوعات	ك	%
موضوعات خطاب الحياة اليومية الديني المرتبط بسلطة الدولة	٤٠	٤٤.٤٤
موضوعات خطاب الحياة اليومية الديني المرتبط بسلطة الأزهر	٢٢	٢٤.٤٤
موضوعات خطاب الحياة اليومية الديني المرتبط بتنظيم الحياة الاجتماعية للناس	٢٨	٣١.١٢
المجمــوع	٩٠	% ١٠٠

يتضح من الجدول السابق ان موضوعات خطاب الحياة اليومية الدينى المرتبط بسلطة الدولة هو الأكثر ظهورًا فى خطابات الحياة اليومية الدينى لدى علماء الأزهر، وجاءت بعدد (٤٠ موقفا) وبنسبة (٤٤.٤٤%)، وكانت هذه الموضوعات المرتبطة بسلطة الدولة، أحد الخطابات التى عرضت الدين لمخاطر التشويه والإحراج بعد ربطه بالسياسة والدولة، ومن الملاحظ اختفاء الاهتمام بالقضايا الدولية، وخصوصًا العربية منها، وبالذات القضية الفلسطينية والاهتمام بالقضايا المحلية فقط.

وتليها فى نسبة المواقف كما صنفتها الدراسة، موضوعات الخطاب الدينى المرتبطة بتنظيم الحياة الاجتماعية للناس وحل مشاكلهم اليومية، فجاءت بعدد (٢٨ موقفا) بنسبة (٣١.٢%)، فى مقابل عدد (٢٢ موقفا) بنسبة (٢٤.٤٤%) لموضوعات خطاب الحياة اليومية الدينى المرتبط بسلطة الأزهر كمؤسسة دينية، اذن هناك سلطات تمارس على الأزهر فى تحديده لموضوعات الخطاب الدينى، وجاءت بالترتيب اولا السلطة السياسية المرتبطة بالسلطة الدينية، واتفاقا مع فيبر في ارتباط كاريزما السلطة السياسية بكاريزما السلطة الدينية، وكما يصف زايد هذا الخطاب الديني المرتبط بسلطة الدولة بالدين المسيس، بأنه يتجسد فى المؤسسات الدينية التى تتألف مع الدولة أو التى تخضع الدولة للأجهزة الدينية، وقسمها زايد الى صورتين للدين المسيس، الأولى: تظهر فى حالة وجود دور قوي للدين فى إضفاء الشرعية على الدولة وعلى نظام الحكم السائد فيها، بحيث تصبح المؤسسات الدينية ورجالها الذراع الأيديولوجي والعقدى لأجهزة الدولة، والثانية: ان تستولى هذه المؤسسات الدينية على الحكم وترفع شعارات دينية وأيديولوجية دينية، وفى هذه الحالة تصبح أجهزة الدولة أداة فى يد المؤسسة الدينية تخضعها وتوجهها كيف تشاء(٥١).

ثم يأتى ثانيًا سلطة الجمهور ومحاولة خطاب الحياة اليومية الدينى عدم فقد هذا الجمهور أو فقدان للدور الدينى لعلماء الازهر عليه، حيث انه العنصر الأهم فى تمأسس الكاريزما. فإن الموهبة التى لاتحظى بالاعتراف أو التى لم تعد تحظى به هى موهبة عاجزة(٥٢). ثم تأتى ثالثا سلطة مؤسسة الأزهر على موضوعات الخطاب الدينى. وبالتالى يأتى الخطاب لايحمل وجهة نظر المجتمع بأسره بقدر مايحمل نظر منتجه أو السلطة الأعلى التى توجهه(٥٣). وكما سيتضح فيما بعد من خلال تحليل الخطاب الدينى اليومى الخاضع لمؤسسة الأزهر.

جدول رقم (٤) موضوعات خطاب الحياة اليومية الديني المرتبط بسلطة الدولة

الموضوعات	ك	%
طاعة أولى الأمر	٥	١٢.٥
التكيف مع الفقر والمرض فى ضوء الرضا والزهد والتقشف فى الحياة	٧	١٧.٥
الإرهاب والجماعات الإسلامية	١١	٢٧.٥
العمل والضمير فى العمل (رعاية الله فى العمل)	٧	١٧.٥
احتواء الفئات المثيرة للمشاكل مثل الشباب والأقباط والمرأة	١٠	٢٥
المجمــوع	٤٠	%١٠٠

وبتحليل الجدول السابق، فقد جاء الارهاب والقضاء عليه من أهم أنواع الخطاب المرتبط بسلطة الدولة بعدد (١١ موقف) وبنسبة(٢٧.٥%)، وربط الارهاب بعوامل خارجية مثل مؤمرات امريكا والدول الغربية على الإسلام، كما جاء فى أحد الخطابات كالآتى "ومحاولاتهم إدخال الارهاب الى بلادنا لهدم قيم الإسلام بتشويه صورته من خلال اظهار صورة الأرهابيين، وان التصدى لهذه المؤامرة من أولى الواجبات على المسلمين، وان القضاء على الارهاب هو محاولة للدفاع عن صورة الإسلام الحسنة لأنها فريضة اسلامية".

كما ان هناك خطابات تهدئة واستقطاب لمعظم الفئات التى يتوقع منها احداث قلاقل فى فترة الحكم القادمة، ومحاولة احتواء الأقليات والفئات المختلفة من حيث النوع والسن والديانة، ومنها فئات الشباب والمرأة والأقباط. وقد جاءت بعدد (١٠ مواقف) وبنسبة (٢٥%)، وقد حصل الخطاب الدينى عن الشباب (٢ موقفا) وعن المرأة (٣مواقف) وعن الأقباط (٥ مواقف). وترى الدراسة ان خطابات التهدئة كما انها مرتبطة بسلطة الدولة الا انها مرتبطة أيضًا بسلطة الأزهر نفسه، حيث ان التعصب الدينى الذى كان يغلف حديث علماء الأزهر سابقا، لم يجد الا النفور والبعد من جانب جمهور عريض من المسلمين، وخاصَّة من الفئات المستضعفة، مما أدى الى فقد الثقة بمخرجات الأزهر، فتراجع الازهر عن هذا الخطاب وبدا بخطاب أكثر اعتدالا ووسطية.

فقد تغير خطاب علماء الأزهر عن المرأة على سبيل المثال، فأصبح بعيدًا عن ماذا تلبس، وبعيدًا عن قضية العمل لدى المرأة حلالها وحرامها. وكانت أكثر الموضوعات تكرارًا فى الخطاب الدينى للمرأة هى الموضوعات الاجتماعية ثم الأحكام الدينية، وكانت أقل الموضوعات تكرارًا هى التعليم ثم المشاركة السياسية ثم العمل، وكانت الاشارة المباشرة لهذه القضايا قليلة جدًا[٥٤]. فالخطاب الدينى السابق يحدد للمرأة وظائف اجتماعية خاصة كالطب والتربية والتعليم والحضانة، وان المساواة بين الرجل والمرأة فى الوظائف أمر مستحيل[٥٥]، فأصبح الحديث يكثر عن حقوق المرأة، فرصدت الدراسة لأول مرة حديثا عن ميراث المرأة، بأنه لا يكون ميراثا بمقدار نصف ميراث الرجل إلا فى أربع حالات فقط، وهناك ما يقرب من ثلاثون حالة أخرى، ميراث المرأة فيها يعادل ميراث الرجل بل ويكون نصيبها من الميراث فى أحيان منهم أكبر من نصيب ميراث الرجل. وجاءت خطابات هذه الفئات بشكل منفصل أحيانا وبشكل مجمل فى أحيان أخرى. وتجد الدراسة ان تهميش دور المرأة من قيادات الازهر لهو خير دليل على ان كاريزما النبوة خاصَّة للرجال دون النساء، طالما ان القادة الكاريزميين ومن تلاهم هم من الرجال فقط.

كما كان خطاب الحياة اليومية الدينى عن الشباب، بالحنين الى شباب الصحابة كما جاء فى أحد الخطابات " لابد ان نتذكر شباب الصحابة، وكيف كانوا يسلكون طرقا شاقة وصعبة للدفاع عن الإسلام والأوطان، ونتذكر هنا أسامة بن زيد، وكيف اختاره الرسول لقيادة حملة الجيش ضد الروم فى الشام وهو صغير السن".

ومن تحليل خطاب الحياة اليومية الدينى تجاه الاقباط، نلاحظ أولا: ان الخطاب يقع تحت أنواع الخطاب المرتبط بالسلطة، من حيث ان الخطاب يلقى باللائمة على العوامل الأمريكية الخارجية فى بعث الفتنة الطائفية، دون المساس بأى عوامل داخلية تمس السلطة السياسية القائمة، ومن هنا يتضح كيف ان مصر الدولة توظف مؤسساتها لنزع فتيل الأزمة الطائفية دون المساس بكيانها السياسى، وفى احد الخطابات ذكر الآتى "ويقول الله تعالى "قولوا آمنا بالله ومأأنزل الينا ومأأنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ومأأوتى موسى وعيسى ومأأوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون"، فالفتنة الطائفية هى بفعل الدول الخارجية التى ترغب فى هدم المجتمع المصرى وبث الفرقة فيه". ونلاحظ ان الخطاب الدينى فى هذا السياق جاء فى اطار وأد الفتنة الطائفية بين الاقباط والمسلمين كهدف قومى، كما جاء فى أحد الخطابات ""ونقول لاخواننا اننا نؤمن بالمسيح عليه السلام ونؤمن بمحمد وبسائر الانبياء، فالفتنة الطائفية هى بلا شك جريمة تمس الامن القومى المصرى، وان الرد المناسب لمواجهة هذا الخطر هو ان نتحد بكل فئاتنا وتياراتنا ونلتف حول قواتنا المسلحة من أجل حماية مصر وأمنها الداخلى، وهذه الفتنة وليدة على المجتمع المصرى الذى عاش لاكثر من ١٤٠٠ سنة لانفرق بين مسلم ومسيحى، ومنذ دخول عمرو بن العاص مصر، وقد خلص الأقباط من حكم الرومان الظالم، كما انه حافظ على حقوق الاقباط، انتهًاء بمشاهد التلاحم بين المسلمين والمسيحين فى ثورة يناير ٢٠١١ ويونيو ٢٠١٣" وهنا تظهر خصيصة الحنين الى الماضى بتذكر كيف كان الإسلام والمسلمون عند دخولهم مصر، كما ان المتتبع لتاريخ العلاقة بين المسلمين والمسيحين يجد ان هذه الفتنة الطائفية حدث قديم وليست وليدة أو بفعل عوامل خارجية.

كما نلاحظ ثانيًا: ان خطاب الحياة اليومية الدينى عن الأقباط جاء فى اطار التسامح الدينى مع الديانات الأخرى، كما جاء فى أحد الخطابات كالآتى "أن الإسلام يدعو إلى التسامح والتعايش المشترك معًا، أو مع غيرهم من أهل الأديان السماوية الأخرى، وقد جاء بالقرآن أكثر من آية قرآنية ترفض التشدد والتعصب للجنس أو الدين أو الرأى، كمايدعو الإسلام الى التعارف بين جميع أفراد المجتمع والتعايش المشترك وتبادل المصالح والمنافع ويقول الله فى كتابه " ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شئ شهيد. الحج : ١٧"

وجاءت طاعة اولى الأمر بعدد (٥ مواقف) وبنسبة (١٢.٥%)، كما جاء فى أحد الخطابات "وإن الله أمر الرعية بأن يسمعوا لأولى الامر ويطيعوهم فيما أمروهم او نهوهم، مالم يكن فى معصية الخالق، فوجوب طاعة ولى امر المسلمين عقيدة دينية يدين بها المسلم لربه، وولاة الامور هم العلماء والامراء فطاعة هؤلاء فيها مصلحة الدين والدنيا ومخالفتهم فيها فساد الدين والدنيا، ولايزال الناس بخير ماعظموا العلماء "

أما اتقان العمل فى الخطاب يتم التركيز عليه وقتما أرادت الدولة نفسها ذلك، وجاء بعدد (٧مواقف) وبنسبة (١٧.٥%)، كما جاء فى أحد الخطابات " ان اتقان العمل ركن من أركان التقوى، وان المسلمين تراجعوا عن المفاهيم الأساسية للدين، ومنها اتقان العمل، وان القضاء على البطالة أمر يمس الأمن القومى للدولة، حتى نتمكن من تصنيع غذائنا وسلاحنا ولانستوردهما من الخارج، ان اتقان العمل ليس من الاعمال التجارية والاجتماعية فقط، بل هو من الأعمال التعبدية أيضًا، وقد ورد فى القرآن الكريم نحو ثلاثمائة وستين آية تحدثت عن العمل " ومن الملاحظ ارتباط موضوع الخطاب بالأمن القومى وبتراجع أحوال المسلمين من ناحية، كما أنها ركن من أركان التقوى وانها من الامور التعبدية والاجتماعية من ناحية أخرى، مع تأكيد كل ماسبق بعدد من الآيات القرآنية التى تحث على العمل.

وقد حاول ماكس فيبر Max Weber أن يجيب عن الأسباب التى تدفع الإنسان فى الحضارة الغربية إلى الالتزام بوجه عام بممارسة عمله كما لو كان ذلك العمل رسالة أومهمة يتسم عليه أداؤها على الوجه الأكمل، فكانت العلاقة بين الأخلاقيات التى تتضمنها وتبشر بها الأديان المختلفة وأنماط السلوك الاقتصادي عاملا مؤثرًا فى دفع أو تعطيل الاتجاه العقلاني فى الحياة وبالذات فى النشاط الاقتصادي. إن مغزى ودلالة انعكاس الواقعة اللاهوتية (الأخلاق البروتستانتية فى الواقعة الاجتماعية المتمثلة فى النشاط الاقتصادي (الرأسمالية) هو الذي جعل بالإمكان تحويل المعانى الغيبية والرمزية للدين (البعد الأخلاقي) الى معانى دنيوية/ عقلانية ذات مآل مُعلمن(٥٦).

وكانت نعمة الرضا والقناعة فى حياتنا المعاصرة والتكيف مع الفقر والمرض من الخطابات الهامة، وقد جاءت بعدد (٧ مواقف) وبنسبة (١٧.٥%)، وفى أحد الخطابات جاء الآتى " ان السلف الصالح قد تأكد لديهم ان الطمع متى تمكن من القلب واستبد به، اصاب النفس الجشع وملأها الغل وكرهت الخير الذى يأتى الناس، فتحسدهم وتتمنى زواله، وهذه النفس فى حقيقتها لاتشبع من كثير ولاتقنع بقليل، بل تظل عينها متطلعة الى ماعند الغير، ومن الأسباب المعينة على الرضا ان ينظر المرء الى من هو دونه فى أمور الدنيا، فكلما نظرت الى من هو أقل منك أزدت رضًا وقناعة، فإذا كنت فقيرًا فهناك من هو أفقر وإذا كنت مريضًا فهناك من هو أشد منك مرضًا، فلماذا ترفع رأسك لتنظر الى من هو فوقك، وان للرضا فوائد أهمها البشارة بالجنة" وهنا تطرح الباحثة سؤالا فلماذا كانت الثورة؟ أليس للعيش وللعدالة الاجتماعية!

جدول رقم (٥) موضوعات خطاب الحياة اليومية الديني المرتبط بمؤسسة الأزهر

الموضوعات	ك	%
تجديد الخطاب الديني	٩	٤٠.٩٠
تقدير علماء الدين الازهريين	٣	١٣.٦٤
الاعتصام بالأصول والثوابت الإسلامية والرجوع الى صحيح العقيدة	٧	٣١.٨٢
استبعاد غير الازهريين من الخطابة أو التدخل فى الشأن الديني	٣	١٣.٦٤
المجمـــوع	٢٢	%١٠٠

وبتحليل الجدول السابق، فقد جاء موضوع تجديد الخطاب الدينى من أهم موضوعات خطاب الحياة اليومية الدينى المرتبط بمؤسسة الأزهر، والتى جاءت بأعلى نسبة تمثلت فى (٩ مواقف) بنسبة (٤٠.٩٠%)، والخطاب الديني هو خطاب معرفي بالأساس يحتاج الى أدوات علوم حديثة، كما أنه فهم للدين يقبل الصواب والخطأ والنقاش والتساؤل وهذا ما لا تدركه مؤسسة الأزهر وعلماؤه، وذلك لأن الممثل الشرعى للسلطة الإلهية والمتحدث بإسمها يمتلك بالضرورة خطابًا غير قابل للنقض أو المراجعة. وكما جاء فى أحد الخطابات " أن تجديد الخطاب الدينى لايعنى المساس بالاصول وانما فى طريقة وضبط النص"

وقد كان العلم السائد فى الخطاب الدينى هو العلم الشرعى وفقًا لخطاب الحياة اليومية الدينى، وبناء عليه لابد من تقدير العلماء الذين يحملون هذا العلم، وقد جاءت أهمية تقدير العلماء بعدد (٣ مواقف) وبنسبة (١٣.٦٤%)، وكما جاء فى أحد الخطابات "فإن العلم الشرعى يُعد احدى أهم الضرورات التى تحتاجها الأمة اليوم، فبالعلم الصحيح المأخوذ من الكتاب والسنة وبالتعليم والدعوة الخالصة المثابرة تخرج أمتنا من أنفاق التخلف، والعلم الشرعى هو السبيل القويم لإصابة نهج الوسطية والاستقامة، فالعلم هو الضمانة الأولى التى تحقق مسيرة العبد من الغلو فى دين الله"، وكما جاء فى خطاب آخر "العلم الشرعى هو العلم بكتاب الله وسنة نبيه (ص)، وهو القاعدة الكبرى التى تبنى عليها سائر العلوم، وحملة العلم الشرعى هم ورثة الانبياء والأمناء على ميراث النبوة، وانما يخشى الله من عباده العلماء، وقد قال عمر رضى الله عنه ان نبيكم قد قال أن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرون" ويتضح مما سبق ان معظم علماء الأزهر يحددون كلمة العلماء فى القائمين بالعلم الشرعى. وكما جاء فى خطاب آخر "ان فضيلة العلم، أى علم الدين ظاهرة وواضحة وضوح الشمس وشواهدها من كتاب الله عز وجل كثيرة لقوله تعالى ان الدين عند الله الإسلام".

وقد جاءت موضوعات خطاب الحياة اليومية الدينى بعدد (٧ مواقف) وبنسبة (٣١.٨٢%) مؤكدة على الاعتصام بالأصول والثوابت الإسلامية والرجوع الى صحيح العقيدة، وترى الدراسة ان تمسك علماء الازهر بصحيح العقيدة حتى لايهتز

عرش سيطرتهم الدينى، وان اى خروج من علماء الأزهر فى خطابهم عن التراث، أو أى تجديد يعنى ببساطة تحريرًا للمتدين من سلطة المؤسسة الدينية وهيمنتها، ولابد من تأكيد الوصاية على عقل الجمهور.

وجاء استبعاد غير الأزهريين من خطابة الجمعة دليلا على محاولة مؤسسة الأزهر احكام السيطرة على الحقل الدينى، وكذلك الى اعادة الجامع الى سابق مجده العلمى وتدريس أمهات كتب التراث فى العلوم الإسلامية والعربية والثقافية، وكان خطاب الوزير مختار جمعة فى هذا الشأن " ان خطورة الاوضاع التى تمر بها البلاد، وعدم ملائمة تعدد مؤسسات متوازية بما يفتح الباب للفوضى فى البلاد ويؤثر على استقرارها وبدون تحريض وعنف، وصد رغبة الغرباء فى السيطرة على المساجد"، أما خطاب الحياة اليومية لعلماء الازهر فجاء بعدد (٣ مواقف) وبنسبة (١٣.٦٤ %)، وجاء مؤكدًا لما سبق ذكره فى خطاب وزير الأوقاف كالآتى "لقد كثر اللغط فى الخطاب الدينى نتيجة تعدد أنواع الخطاب منهم السلفى والجهادى وغيرهم، ويجب السيطرة على الخطاب الدينى من المؤسسة العريقة، والتى لها الحق الوحيد فى التحكم فى الخطاب الدينى، مما يمنع فوضى الخطابات وتنوع الافتاءات" . وكان من أشكال سيطرة الأزهر على الشأن الدينى برمته بقاء إدارة المساجد رسمية بالكامل متمثلة فى وزارة الأوقاف وتحت اشراف مؤسسة الأزهر. ان الدولة تساند الأزهر لانه جزء أصيل من أدواتها فى محاربة من يعارضها، فالدين له سلطة يستخدمها الأزهر لادامة استمرارية كاريزميته، وتستخدمها الدولة للنيل من المعارضين، كما وضح محمد مهنا مستشار شيخ الازهر فى أحد خطاباته "ان الدستور والقانون يدعم الأزهر وقرارته، وهو مسئول عن المسائل الدينية والقضايا الاجتماعية كما انه المسئول عن الدعوة، وان المؤسسات الدينية تعمل فى ظل الأزهر حتى وزارة الاوقاف وهيئة كبار العلماء، يعنى ذلك أن الأزهر هو المرجعية الوحيدة كما نص الدستور، كما يجب الا تكون الشئون الدينية تبعًا الحكومة".

جدول رقم (٦) موضوعات خطاب الحياة اليومية الديني المرتبط بتنظيم الحياة الاجتماعية للناس

الموضـــوع	ك	%
الزكاة	٣	١٠.٧٢
الطلاق	٣	١٠.٧٢
الصوم	١	٣.٥٨
العمرة	٢	٧.١٤
الزنا	٢	٧.١٤
الميراث	٤	١٤.٢٨
الزواج	٥	١٨.٨٠
الدين والأخلاق	٨	٢٨.٥٧
المجمـــوع	٢٨	٣١.١٢

وقد تنوعت موضوعات خطاب الحياة اليومية الديني فى التحليل، ومن الملاحظ أن هناك موضوعات تخص العبادات مثل الحج والصوم والأعياد، والتى احتلت موقع الصدارة فى خطابات علماء الأزهر، والتى ظهرت فيها خصائص خطاب الحياة اليومي الديني المرتبط بكاريزما النبوة عند فيبر اكثر من أي موضوعات خطابية أخرى، مثل خصيصة امتلاك رأس المال الديني – المعرفي والتمايز المهني، وقلت فيها خصائص مثل الوصائية، وقد ظهرت خصيصة الوصائية فى موضوعات اجتماعية مختلفة لم يصدر عنها نص قرآني صريح.

وكان خطاب الحياة اليومية الدينى عن الزكاة والصوم والعمرة والميراث والدين والاخلاق من ثوابت الدين الإسلامى والتى لها نصوص صريحة فى القرآن ولاخلاف عليها، أى ان هناك اجماع فقهى فى هذه العبادات، أما خطابات الطلاق (من حيث العدد وظروف الطلاق شفاهًة أم توثيقاً)، فكانت تظهر من خلاله خصيصة الوصائية وذلك لتعدد الآراء الفقهية فيها، كما تبين من تحليل الخطاب اليومي لعلماء الأزهر أن خطابهم الفردي يحاول الاقتراب من معطيات الواقع، حتى لاينفصلوا برأسمالهم المعرفي الديني عن الحياة الاجتماعية وتنظيم شئونها.

وكان هناك دائمًا حافز للجمهور من خلال تحليل خطاب الحياة اليومية الدينى، والحافز الوحيد هو الوصول للجنة، فخطاب علماء الازهر آخروى وليس دنيوى، مع ان كلمة الحياة بالقرآن ذكرت ١٤٥ مساويًا لعدد كلمات الموت، وأن كلمة الدنيا ذكرت ١١٥ مرة مساويًا لكلمة الآخرة[٥٧].

جدول رقم (٧) استخراج تكرار الخصائص فى المواقف المختلفة

الخاصية	ك	%
امتلاك راس المال المعرفي/الدينى	٢٠	٢٢.٢٢
الحنين الى الماضي	٢٠	٢٢.٢٢
الاستمرار والديمومة	١٥	١٦.٦٧
الوصائية	١٨	٢٠
التمايز المهني	١٧	١٨.٨٩
المجموع	٩٠	١٠٠%

ويتضح من الجدول السابق، ان خطاب الحياة اليومية الدينى عند علماء الأزهر، جاء ليجسد ماضي المسلمين على أنه ماضي عظيم حقق المسلمون فيه نهضة عظيمة، والصحابة هم المثل الأعلى دائمًا بعد الرسول (ص). وكانت أكثر الخصائص التى حصلت على النسب الاكبر من خصائص خطاب الحياة اليومية الدينى هى خصيصة امتلاك رأس المال المعرفى/الدينى وخصيصة الحنين الى الماضى، وقد جاءت كل خصيصة من الخصيصتين بعدد (٢٠ موقفا) وبنسبة (٢٢.٢٢%)، وقد حدد أحمد كمال أبو المجد أن الخطاب الديني شهد سبعة انحرافات، يتمثل أحدهما فى مداومة الحديث عن الماضى، والذهول عن الحاضر والخوف من المستقبل[٥٨]. أما خصيصة الوصائية جاءت بعدد (١٨ موقفا) وبنسبة

(٢٠%)، ثم تلاها خصيصة التمايز المهنى بعدد (١٧ موقفا) وبنسبة (١٨.٨٩%)، ثم جاءت فى المرتبة الأخيرة خصيصة الاستمرار والديمومة بعدد (١٥ موقفا) وبنسبة (١٦.٦٧%).

جدول رقم (٨) موضوعات خصيصة امتلاك رأس المال المعرفي/الديني

الموضوع	ك	%
كلامهم لا يحتمل الصواب والخطأ (صحيح دائمًا)	٣٠	٦٠
الثنائية بين المثقفين والجهلاء	١٠	٢٠
مراعاة التخصص	١٠	٢٠
المجمــوع	٥٠	١٠٠ %

ومن الواضح فى تحليل خطاب الحياة اليومية الدينى ربط كل جزء من الخطاب بانه كلام الله وليس كلام العلماء كما جاء فى الخطاب الآتى " فهذا ليس كلامى ولا من أفكارى بل هى أحكام الله والكلام من عند ربنا" ولذلك فخطابهم لايحتمل الصواب والخطأ فهو صواب دائمًا، ولكنهم لم يدركوا ان خطابهم يحمل كثير من تفسير النصوص القرآنية والاحاديث النبوية، بما يحمل من اعادة انتاج التراث الدينى من خلال تكرار استشهاداتهم القرآنية والنبوية دون اعادة تجديد أو تفكير. وقد جاءت بعدد (٣٠ موقفا) وبنسبة (٦٠%)، مما يؤكد على خصيصة امتلاك رأس المال المعرفى/الدينى المستمد من الله والشرع.

وجاءت موضوعات مراعاة التخصص بعدد (١٠ مواقف) وبنسبة (٢٠%) من مجمل موضوعات خصيصة امتلاك رأس المال المعرفى/الدينى، وكما جاء فى أحد الخطابات "ومن ضوابط تجديد الخطاب الدينى مراعاة التخصص، فمن يريد ان يجدد الخطاب الدينى لابد ان يكون متخصصًا فى المجال الذى يجدد فيه"

وبتحليل موضوعات خطاب الحياة اليومية الدينى، جاء موضوع المقارنة والثنائية الواضحة فى خطاب الحياة اليومية الدينى بين الجهل والعلم وبين العالم والجاهل، وجاءت بعدد (١٠ مواقف) وبنسبة (٢٠%)، وذكرت أحد الخطابات الآتى "واليوم يتجرأ على التحدث فى الدين أنصاف المتعلمين وأرباعهم وأدنى من ذلك، ومن لا علم له ولا فقه ولا خبرة ولا قدرة على الاستدلال بالنصوص وإنزالها فى منازلها، ولا يدري شيئا عن قواعد الاستدلال من حيث العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد والنسخ والمصالح والمفاسد "قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون" ". وفى خطاب آخر "جلس الجهلاء على مقاعد أهل العلم وتدفقت الأموال وتلألأت المغريات لشراء العقول والضمائر والالسنة والحناجر والأقلام".

جدول رقم (٩) موضوعات خصيصة الحنين إلى الماضي

الموضوعات	ك	%
مواقف الصحابة والخلفاء الراشدين تجاه الدين	٧	٧٠
لو الرسول بينا	٢	٢٠
الاقتداء بالتاريخ الإسلامي وعظمته	١	١٠
المجمـــوع	١٠	%١٠٠

وبتحليل موضوعات الخطاب الدينى، وجد ان خصيصة الحنين الى الماضى تشمل أولا الحنين الى الصحابة والخلفاء الراشدين ومحاولة التشبه بهم، وجاءت بعدد (٧ مواقف) وبنسبة (٧٠%)، كما جاء فى أحد الخطابات "فان سيرة الرسول المربى المرشد الذى يشرف على تربية أصحابه تربية مثالية ينقل فيها من روحه الى أرواحهم ومن نفسه الى نفوسهن مما يجعلهم يحاولون الاقتداء به فى دقيق الامور وكبيرها. وقد ظهرت أهمية الاقتداء بالصحابة لتواصل خصائص كاريزما النبوة الى التابعين وتابعين التابعين من خلال الآتى: التبرك بقبورهم والتأسى بمواقفهم فى الحياة وذكر الأحداث البطولية والدينية الخاصة بهم والتى مرت بهم فى حياتهم. ومن الملاحظ ان خطاب الحياة اليومية الدينى هو خطاب عسكري، بمعنى انه يركز على غزوات الرسول (ص) والحروب وسير الجيوش لنشر الدين الإسلامى، وذلك لارتباط الكاريزما السياسية بالدينية، حيث ان أهم خصائص الكاريزما السياسية هى القدرة على تجهيز الجيوش وخوض الحروب وخاصَّة الحروب التى تشن لأهداف دينية.

ثانيًا وقد جاءت خصيصة الحنين الى الماضى واضحة فى موضوع "لو الرسول بيننا"، وجاء بعدد (٢ موقفا) وبنسبة (٢٠%)، وكان استحضار الرسول فى الزمن المعاصر وتحقيق السُنة النبوية فى الأعمال اليومية فى القرن ٢١، ويقول شيخ الأزهر "لو كان الرسول بيننا الآن لقام هو نفسه بتجديد الخطاب الدينى ومواكبة التطور الذى يحدث بالعالم" ثم يأتى الحنين الى الماضى ثالثا فى موضوع الأقتداء بالتاريخ الإسلامى وعظمته بعدد (١موقف) وبنسبة (١٠%) وكما جاء فى الخطاب "ان الناظر فى تاريخ الإسلام، خاصَّة فى القرون الاولى يجد فرقا شاسعًا بين فترة حياة أصحاب النبى وبين هذه الايام الذى نعيشها".

ولم يخل الامر من الحديث عن الأولياء الذين يكرمهم الله بالكرامات بما تحمله من خصائص كاريزما النبوة، كما ذكر فى احد الخطابات "وكرامات الأولياء هى معجزات للأنبياء، فكرامات أولياء أمة محمد هى معجزات لسيدنا محمد (ص)، والكرامة أمر خارق للعادة يحصل على يد من أتبع النبى اتباعًا صادقا كاملا، ومن هؤلاء الرجال الذين بلغوا مرتبة الولاية وأكرمه الله بالكرامات عمر بن الخطاب".

جدول رقم (١٠) موضوعات خصيصة الاستمرار والديمومة

الموضوعات	ك	%
- لاهمية الازهر وعلماؤه فى التماسك الاجتماعي بالمجتمع (دور الأزهر الاجتماعى)	٩	٣٦
- سيظل الازهر باقيًا ما زال الإسلام قائمًا (دور الأزهر الدينى)	١٦	٦٤
المجمـــوع	٢٥	%١٠٠

وقد رصدت الدراسة ان خصيصة الاستمرار والديمومة يدعمها استمرار مؤسسة الأزهر وديمومته، وذلك من خلال تواجد المؤسسة وعلماؤها فى حياة الناس والتركيز على أهمية دور الأزهر الاجتماعى فى الحفاظ على ثوابت الاخ لاق والتماسك الاجتماعى داخل المجتمع المصرى من ناحية، وجاءت بعدد (٩ مواقف) وبنسبة (٣٦%)، وحفاظه على الإسلام وقوة ركيزته بين الناس من ناحية ثانية، وان هذا الدور هو من أهم الأدوار التى يقوم بها الأزهر للحفاظ على استمراريته وبقاءه، وجاءت بعدد (١٦ موقفًا) وبنسبة (٦٤%)، ويتضح ذلك من بعض جمل خطاب الحياة اليومية الدينى "هذا هو الأزهر فحافظوا عليه حفاظكم على الحياة"، "المنبر الوحيد الباقى على أرض الله"، "الأزهر سيبقى مابقيت دنيا الناس"، "ولابد ان نلتف حول الأزهر وحول شيوخه التفاف الصحابة برسول الله طلبًا للهداية".

وفى خطاب شيخ الأزهر الأمام الطيب حين أطلق استراتيجية الأزهر الجديدة في مؤتمر صحفى عالمى جاء الآتي " وأنى لأعلنها على المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها تبرئة للذمة هنا وأمام الله تعالى يوم القيامة، الا مخرج لنا أيها المسلمون من هذه الفتنة العمياء الضالة المضلة إلا بالعودة الى المنهج القويم فى فهم القرآن والسنة والشريعة واحكامها، وهو منهج الأزهر، هذا المنهج الوحيد على ظهر الارض اليوم الذى عصمه الله من فوضى التكفير واستحلال دماء الناس".

جدول رقم (١١) موضوعات خصيصة الوصائية

الجملة	ت	%
أحادية الرأي (وعدم تعددية القول).	١٠	٣٥.٧١
سلطة الدين فى القائمين عليه.	١٠	٣٥.٧١
المحافظة ولا تقديم تنازلات.	٨	٢٨.٥٨
المجمـــوع	٢٨	%١٠٠

ويتضح من تحليل الجدول السابق، كيف يرى الأزهرى نفسه حاميًا للدين ووصى عليه من خلال مجموع الأفراد داخل مؤسسة الأزهر، فالأزهر يحميهم ويحمى وصايتهم للدين وعلى الافراد المنتمين لهذا الدين، وقد تصل الوصائية الى حد الاتهام بالكفر والزندقة، وذلك كما حدث سابقًا فى قضية نصر حامد أبو زيد

وحاليًا يتم الاتهام بازدراء الاديان كما حدث مع إسلام البحيري وغيرهم. ونجد أن الخطاب الأزهري يخشى التجديد، كما يخشى من فقد السيطرة والهيمنة الدينية. هناك من يعتبر نفسه وصيًا على الدين، ولا يقبل الرأي المخالف لتوجهاته، فالمعركة الفكرية يجب ان تخاض فى دائرة الفكر وليس عبر الإرهاب، سواء فى المحاكم أو عبر الخطب التكفيرية والتهديدات، والله عز وجل يخاطب نبيه حين قال "لست عليهم بمصيطر" (الغاشية:٢٢).

وتصور الذات المنتجة للخطاب الديني أو النخبة الإسلامية المنتجة للخطاب الديني بأنها تعبر عن رؤيتها الأيديولوجية فى خصيصة الوصائية وإدارة الناس بدعوى عدم قدرة الجمهور على استيعاب تعدد الآراء وكذلك لعدم تشتيت فكر الجمهور، عندما تأخذ فتوى وتقتنع بفتوى دون أخرى، والاعتماد على نص واحد فى الحكم وإغفال بقية النصوص الدينية التى وردت فيه، وبذلك يعتمد علماء الأزهر على فتاوى يستندون فيها على أقوال علماء من العصور السابقة على الرغم من تغير الزمان والمكان.

ففى مواقف قليلة جدًا تم فيه ذكر آراء الأئمة الاربعة، وقد جاءت أحادية الرأى وعدم تعددية الرأى بعدد (١٠ مواقف) وبنسبة (٣٥.٧١%). وكما قرر سعد الدين الهلالي، يجب على المتلقي للفتاوى أن يقوم بتحكيم عقلى وليس بتسليم ديني، مطالب بتصحيح الفكر القديم المعتمد على أن الفتوى إذا خرجت من أي مؤسسة دينية أو علماء كأنها خرجت من الله، وقال أن هذا هو الخطأ وأنه ليس هناك تقديس للرأي، ولكن هناك تكريمًا للعقل الإنساني[٥٩].

وقد جاء موضوع سلطة الدين فى القائمين عليه بعدد (١٠ مواقف) وبنسبة (٣٥.٧١%)، وقد ذكر فى خطاب التحليل الدينى الخاص بالموضوع الآتى "رجال الدين هم يملكون تفسير القرآن والسنة" "لا يقوم بالتجديد للخطاب الديني إلا الأزهريون دون غيرهم"."لا يتحدث باسم الإسلام غير المؤهلين". "ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه" وأضاف عزب رئيس جامعة الأزهر خلال مؤتمر رابطة خريجى الأزهر بعنوان "الخطاب الدينى بين التراث والمعاصرة من الشباب للشباب" "أن أركان الإسلام والثوابت ليست فى معرض التجديد، والتى عبر عنها المتخصصون بمقاصد الشريعة، مؤكدًا أن الأمر معنى به العلماء لا الجهلاء، وأشار عزب الى أن الطامة الكبرى التى نعيشها أن كل من هب ودب يتصدر الدعوة والفتوى، وأن العالم رضى بايديولوجية واحدة هى الأزهر بعد أن وجدوا فيه الصدق، ووجدوا فى غيره الضلال، فالتراث أصل فى مناهج الأزهر وسنظل متمسكين به"

كما جاء موضوع المحافظة وعدم تقديم تنازلات بعدد (٨ مواقف) وبنسبة (٢٨.٥٨%)، وكما جاء فى أحد الخطابات كالأتى " يجب الحفاظ على طهارة ديننا من أى محاولة لتغيير ثوابت الدين، وخاصًة من الذين لايغارون على عِرضهم وحياتهم وكرامتهم، هل تستطيع التنازل عنهما، فالحفاظ على الدين من هؤلاء هو حفاظ على حياتكم وحياة اولادكم"

جدول رقم (١٢) التمايز المهني

الموضـــوع	ك	%
النخبوية بالانتماء الى الأزهر والإسلام	٢	٢٨.٥٧
ثنائية من يعلم ومن لا يعلم	٣	٤٢.٨٦
تقدير للزي الأزهري المرتبط بالوظيفة (العمامة مثلا)	٢	٢٨.٥٧
المجمـــوع	٧	%١٠٠

ويتضح من الجدول السابق، ان خصيصة التمايز المهنى جاءت من خلال بعض الجمل التى وردت فى خطاب الحياة اليومية الدينى، وقد حصلت جملة "من يعلم ومن لايعلم" والاستشهاد من خلال آية "هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون" بعدد (٣ مواقف) وبنسبة (٤٢.٨٦%)، وهنا يمكن الحديث عن رأس المال الديني كأساس للتمايز المهني، فإذا كان فيبر وعلى ليلة يؤكدان على أن الدين يمثل رأس مال هام على نطاق المجتمعات القومية، فإن الدراسة تؤكد على أن الدين يمثل رأس مال هام على مستوى الأفراد والمؤسسات، خاصة فى سياقات المجتمعات النامية التى تقف على هامش الحداثة، وهنا يتألف رأس المال الديني من درجة حيازة وسيطرة الفرد على الثقافة الدينية وخاصًة داخل المؤسسة الدينية.

كما رصدت الدراسة من خلال تحليل خطاب الحياة اليومية الدينى ان لدى علماء الأزهر تمييزًا ظهر فى المسكوت عنه فى الخطاب، مثل ذكر أهمية الملبس الدينى لهم والمتمثل فى العمة أو العمامة الأزهرية، وقد جاءت بعدد (٢ موقفا) وبنسبة (٢٨.٥٧%)، فالعمة لم تكن مجرد قطعة قماش حمراء يسورها شال أبيض توضع فوق رأس الأزهري، بل كانت رمزًا للدين والشرف والكرامة، لا ينالها إلا من يستحقها، وكما ذكرت فى أحد الخطابات "إن للعمامة منافع جمة فهي تجلب احترام الناس، وإن العمامة مسئولية كبيرة أمام الله جل شأنه، وأمام الناس والأمة والتاريخ لأنها تجسيد ورثة الأنبياء"، لقد أصبحت العمامة طريقا الى الكاريزما الدينية وشكلا لها ومعبرًا عنها.

كما ان خطاب علماء الأزهر يبعد عن الذاتية الى حد كبير، فالعالم الأزهري يدرك ذاتيته من خلال مؤسسته الأزهرية الإسلامية والتى تحمل علم الشرع، بل ان الأزهر يساعد على رفع مكانة مصر امام المجتمعات الدولية، وجاءت هذه النخبوية

المرتبطة بالانتماء الى الأزهر والإسلام بعدد (٢ موقفًا) وبنسبة (٢٨.٥٧%)، وكما جاء فى أحد الخطابات "فشأن المعرفة بالإسلام كعلم هو أرفع العلوم، وأجلها شأنًا، وأعظمها نفعًا، وعلو شأنه ومكانته تأتي من كونه يتعلق بالشرع وهو الله سبحانه وتعالى، وأن أهل الاختصاص فى هذا العلم يجب أن يكونوا ذا مكانة مرتفعة، "واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" (النحل:٤٣)". كما يؤمن علماء الأزهر بان الأزهر يمثل الإسلام الحق، وما دونه باطل وهذا هو جوهر الفكر الأصولي والسلفي المتشدد الذي يتعامل مع فهمه للنصوص باعتباره الإسلام الحق وغيره باطلا.

جدول رقم (١٣) فئات أساليب الإقناع الدينية فى خطاب الحياة اليومية الديني لدى علماء الأزهر

الاسلوب	ك	%
آيات قرآنية	١٦٠	٦١.٦١
أحاديث نبوية	٦٣	٢٤.٤٣
قواعد شرعية	٣٦	١٣.٩٦
المجمـــوع	٢٥٩	%١٠٠

ولتحقيق خصائ كاريزما النبوة عند علماء الأزهر، فقد تنوعت أساليب الاقناع الدينى التى استخدمت فى خطاب الحياة اليومية الدينى، فقد رصدت الباحثة أساليب الاقناع الدينى من خلال استشهادات علماء الأزهر بالنصوص القرآنية وبالأحاديث النبوية وبالقواعد الشرعية، وقد احتلت أهمية الآيات القرآنية أكبر عدد مواقف (١٦٠ موقفا) بنسبة (٦١.٦١%)، وأخذ الاستشهاد بالاحاديث النبوية عدد (٦٣ موقفا) بنسبة (٢٤.٤٣%)، وجاء الاستشهاد بالقواعد الشرعية فى عدد (٣٦ موقفا) بنسبة (١٣.٩٦%).

وكلما زاد أسلوب الإقناع الديني عن طريق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كلما ظهرت خصيصة امتلاك رأس المال المعرفي – الديني والتمايز المهني وقلت خصيصة الوصائية، وظهرت وسائل الإقناع الديني أيضًا من خلال حياة الرسول والصحابة ممن عاصروا الرسول (ص) فى حياته، أو تأسو بنهجه بعد مماته، وذلك من خلال الاستشهاد بالقواعد الشرعية. ويتوقع العالم الأزهرى بداية فى تشكك المستمع فى سيرة الرسول (ص) وهو فى محاولة لاقناع المستمع بسيرة الرسول وثبوتها والاقتداء بها وقدسيتها وصحتها، وقد تكرر الموقف تقريبًا فى (١٠ مواقف من ٣٦ موقفا) من المواقف التى خضعت للتحليل الخطابى، وكان أحد الخطابات جاءت كالآتى" ان الميزة من صحة السيرة صحَّة لايتطرق اليها الشك ولاتوجد فى سيرة رسول الله مايشكك كما فى سيرة الرسل السابقين كموسى وعيسى عليهما السلام، وماحدث فى كتبهم وسيرهم من تحريف، وخاصَّة انها لم ترو بسند متصل الى كاتبيهما" وقد قرر آخر فى أحد من الخطب أن " السيرة ياأصحابى هى الدين كله".

نتائج وتوصيات الدراسة:

١ - وجدت الدراسة اتفاقا بين خصائص خطاب الحياة اليومية الدينى لعلماء الازهر وخصائص كاريزما النبوة لدى ماكس فيبر، من حيث خصيصة امتلاكهم لرأس المال المعرفى/الدينى، وكذلك خصائص الحنين الى الماضى والرغبة فى الاستمرار واليمومة، وكذلك التمايز المهنى والوصائية.

٢ - وقد انعكست تلك الخصائص فى خطاب الحياة اليومية الدينى فى فترة الدراسة، من خلال توصيف الخطاب كالآتى : ا– انه خطاب تهدئة واستقطاب لمعظم الفئات التى استهان بها نفس هذا الخطاب فيما سبق، وهذا يشير الى رغبة الخطاب الدينى فى الحفاظ على أكبر قدر من الجمهور، وخاصًة جمهور الشباب والمرأة، رغبًة منهم فى الاستمرار والديمومة. كما يتفق خطاب الحياة اليومية الدينى مع متطلبات المرحلة السياسية الحالية التى تدعو الى الهدوء وإحكام أى تفكير ثورى يخطر ببال تلك الفئات.

ب – ارتباط الخطاب الدينى الرسمى بالبناء النظامي المحيط ويعاد انتاجه فى خطاب الحياة اليومية الديني، وهذه الموضوعات التى يتلقاها الفرد من الأبنية المحيطة به هى موضوعات محلية بحتة مثل: القضاء على الإرهاب المحلي ومن ثم الدولي وإطاعة اولي الأمر واستهداف مصر من الخارج والعمل الدؤوب لرفع اقتصاد مصر وترشيد النفقات.

ج – كما يتم من خلال خطاب الحياة اليومى الدينى تسيير تبادلية الحياة اليومية، وتذليل العقبات التى تعترضها، وتخفيف حدة موضوعات الخلاف والنقاش أثناء حركة الإنسان عبر حياته اليومية وعبر تفاعلاته المختلفة مع النظم.

٣- كما تعطى الدراسة خصيصة لكل نوع من أنواع الخطاب، سواء المرتبط بالسلطة فهو خطاب تهدئة واستقطاب، والخطاب المرتبط بالمسائل الاجتماعية للفرد فهو خطاب موعظة، والخطاب المرتبط بمؤسسات الأزهر هو خطاب تعالى وثنائية وامتلاك المعرفة.

٤ – يجب التمييز بين الخطاب الدينى والنصوص المقدسة الثابتة، حيث ان ذلك الخطاب يعتمد على تفسير النصوص المقدسة، ولكنه يظل فى حدود العمل العقلى البشرى والاجتهادى، الذى يرتبط بإمكانات وقدرات منتجيه.

٥ - يسعى علماء الازهر الى تجديد الخطاب الدينى، من خلال حفظ الاصول والثوابت فى التراث، فهم يتعاملون مع التراث على انه أحكام دينيه شرعية واجبة، وليس تجربة تاريخية تشريعية دخلت عليها مصادر متعددة من الاعراف والتقاليد والمصالح، فيجب الا يتعامل علماء الأزهر مع التراث بإعتباره ديئا، ولكن يتم التعامل مع التراث بإعتباره فكرًا.

٦ – واذا كان الاسلام يرفض ان يحتكره أحد، فان قانون الأزهر نفسه لم يخول للازهر احتكار الدين، بل انه طبقًا للقانون فإن الأزهر مؤسسة مدنية تتخصص فى الشأن الدينى الاسلامى ولايحتكره. وبالتالى يجب التصدى لأفكار المؤسسات التى تحتكر الحديث باسم الدين فى محاولة لخلق مدرسة اجتهاد جديدة تحمل مسئولية تجديد الفكر والخطاب الدينى فى الاسلام.

الهوامش

(١) وتذكر الباحثة هنا حدثا أثار انتباهها، وهي ان أحد الأشخاص الذي مارس الزنا مع خطيبته، ولم تنتهى الخطوبة بالزواج، وقد تم الانفصال، وكانت اجابة أحد الشيوخ فى أحد البرامج الدينية هو أن ينسى هذا الشخص ماحدث وكأنه لم يكن، وشيخ أزهرى آخر فى برنامج آخر في نفس اليوم شدد العقوبة على هذا الزاني.

(٢) عمار علي حسن، الاصلاح السياسى فى الأزهر والاخوان المسلمين قبل الثورة وبعدها (الفريضة الواجبة)، هلا للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٢، ص ٦١، ص ٦٦.

(٣) عمار علي حسن، المرجع السابق، ص ١٠١.

(٤) مؤمن حسين، الأزهر: الشيخ والمشيخة، مجلة الهلال، القاهرة، مارس ٢٠١٢، ص ١٧٤.

(٥) انظر فى تاريخ الأزهر: سنية قراعة، تاريخ الأزهر فى ألف عام، مكتب الصحافة الدولي للصحافة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨، بيارد دودج، الأزهر فى ألف عام، ترجمة د/ حسين فوزي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، القاهرة، ٢٠١٠، محمد الشيخ، خمس أطروحات فى السياسة النبوية، قراءة فى كتاب د. عبد الإله بلقزيز، تكوين المجال السياسي: النبوة والسياسة. http://ebn-khaldoun.com/article-details.php?article=520

(٦) عمار علي حسن، مرجع سابق، ص ١٠٠.

(٧) بسمة عبد العزيز، سطوة النص....خطاب الأزهر وأزمة الحكم، دار صفصافة للنشر، القاهرة، ٢٠١٦.

([8]) Douglas F. Barnes, Charisma and Religious Leadership: An Historical Analysis, Journal of Scientific Study of Religion, vol. 17, No. 1 (Mar; 1978) pp. 1-18.
. www.unil.ch/Files/Live/Sites/issrc. 7Mar 2013.

(٩)عمر بلخير، الخطاب وبعض مناهج تحليله https://omerbelkheir.wordpress.com

(١٠) هبة عبد المعز أحمد، تحليل الخطاب http://www.alnoor.sc/article.asp?

(١١) أحمد زايد، صور من الخطاب الديني المعاصر، دار العين للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧، ص ١٦.

(١٢)عمر بلخير، الخطاب وبعض مناهج تحليله Rttps:// omarbelkeir. Wordpress.com

(١٣) أحمد زايد، صور من الخطاب الديني المعاصر، مرجع سابق، ص ١٠٧.

(١٤) هبة عبد المعز، مرجع سابق.

(١٥) هبة عبد المعز، المرجع السابق.

وهناك تشابه بين مصطلحات مختلفة مع مصطلح الخطابة، مثل التشابه بين مفهومي النص والخطاب وأيضًا بين مفهومي الحديث والخطاب، لا يسع ذكرها فى هذه الدراسة.

([16])Justin Taylor, S.M. Max Weber Revisited: Charisma and institution at the Origins of Christianity, Australian of Journal Theology, (December 2012), 195-207.

(١٧) دانييل هيرفيه – ليجيه، جان بول ويليام، سوسيولوجيا الدين، ترجمة : درويش الحلوجي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ع (٨٠٤)، ط ١، ٢٠٠٥، ص ٩٧ - ١٠٠.

(١٨)جعفر نجم نصر، فصول فى سوسيولوجيا الدين: كاريزما النبوة عند ماكس فيبر، السيد المسيح وأتباعه إنموذجًا، الرافدين، لبنان / بيروت، ط ١، ٢٠١٦. ص ٦٦.

(١٩) جعفر نجم نصر، المرجع السابق، ص ٦٧.

(٢٠) جعفر نجم نصر، المرجع السابق، ص ٦٧.
(٢١) عبدالإله بلقزيز، تكوين المجال السياسي العربي : النبوة والسياسة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص ١٠١.
(٢٢) جعفر محمد نصر، مرجع سابق، ص ٨١.
(23) Taylor,Ibid.-Justin
(٢٤) انظر فى توضيح أشكال المقاومة والخضوع: شحاتة صيام، القهر والحيلة: أنماط المقاومة السلبية فى الحياة اليومية www.kotabarabica.com
(٢٥) أحمد زايد، خطاب الحياة اليومية فى المجتمع المصرى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٥٣.
(٢٦) أحمد زايد، المرجع السابق، ص ٥٣ - ٥٤.
(٢٧) أحمد زايد، المرجع السابق، ص ٥٧.
(٢٨) خالد كاظم أبو دوح، رأس المال الديني وتنمية المجتمعات العربية، http:// tasmoh. Om/ indey.php/nums/views 27/544.
(٢٩) على ليلة، أمور رأس المال الديني فى تحديث المجتمع العربي https:// sites. Google.com/site/aliliela/-
(٣٠) على ليلة، المرجع السابق.
(31) Justin- Taylor,Ibid.
(٣٢) أحمد زايد صور من ا لخطاب الديني المعاصر، مرجع سابق، ص ص ١٠٣، ١٠٤.
(٣٣) وجيه قانصوه، النص الديني في الإسلام / من التفسير إلى التلقي، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠١١، ص ٢٨٦.
(٣٤) وجيه قانصوه، مصدر سابق، ص ٤٥٧.
(٣٥) عبدالقادر بوعرفة، الخطاب الديني وإشكالية التفسير والتأويل، دراسة حول الاختلاف والاتفاق ضمن كتاب : التأويل والترجمة لمجموعة من الباحثين، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص ٢٢٥.
(٣٦) حدبث نبوى – المعرفة. www.marefa.org/index.php
(٣٧) جعفر نجم نصر، مرجع سابق، ص ٦٩.
(٣٨) جعفر نجم نصر، المرجع السابق، ص ٢٣٣.
(٣٩)جعفر نجم نصر، المرجع السابق، ص ٢٢٦.
(٤٠) جعفر نجم نصر، المرجع السابق، ص ٢٣٤.
(٤١) جعفر نجم نصر، المرجع السابق، ص ٢٣٧.
(٤٢) إكرام عدنني، سوسيولوجيا الدين والسياسة عند ماكس فيبر، منتدى المعارف، بيروتن لبنان، ط١، ٢٠١٣، ص ٢٣١.
(٤٣) التكريس يتم من خلال انتقال البركة الخاصة من زملائهم الأقدم منهم، فينقلون إليهم الغبطة التي تلقوها بدورهم عن أسلافهم، وصولا حتى الرسل الأوائل.
(44) Reinhard Bendix, Max Weber an intellectual Portrail,London, 1962, PP. 318 – 319.
(٤٥) Douglas F. Barnes, Ibid.
(٤٦) أحمد زايد، خطاب الحياة اليومية فى المجتمع المصرى، مرجع سابق، ص ١٠٨.

(٤٧) بيترل برجر، القرص المقدس / عناصر نظرية سوسيولوجية في الدين، ترجمة : عبدالمجيد الشرقي، مركز النشر الجامعي، تونسي، ٢٠٠٣، ص ٧٢.
(٤٨) أحمد زايد، خطاب الحياة اليومية فى المجتمع المصرى ، مرجع سابق، ص ٥٩.
(٤٩) أحمد زايد، صور من الخطاب الديني المعاصر، مرجع سابق، ص ١١٠.
(٥٠) أحمد زايد، صور من الخطاب الديني المعاصر، مرجع سابق، ص ص ٢٦-٢٨.
(٥١) أحمد زايد، صور من الخطاب الديني المعاصر، مرجع سابق، ص ١٩٠.
(52) Justin Taylor, S.M. Max Weber Revisited: Charisma and institution at the Origins of Christianity, Australian of Journal Theology, 193, (December 2012), 195-207.
(٥٣) أحمد زايد، قيم التنمية فى الخطاب الديني المعاصر، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، الورقة البحثية رقم (٢١)، ٢٠١١. http://www.iolse.gove.eg .
(٥٤) رباب جلال محمد محمد، قضايا المرأة فى الخطاب الدينى المعاصر: دراسة تحليلية، رسالة دكتوراة، كلية التربية، جامعة عين شمس، قسم الفلسفة والاجتماع، ٢٠١٤.
(٥٥)أحمد زايد، صور من الخطاب الدينى المعاصر، مرجع سابق، ص٥٠.
(٥٦) جعفر نجم نصر، مرجع سابق، ص ٢٠.
(٥٧) الاعجاز العددى فى القرآن الكريم – البوابة الدينية islam.ahram.org.eg.
(٥٨) كمال أبو المجد، الدين والدولة فى الوطن العربي: مداخل إلى إصلاح الخطاب الديني المعاصر، المستقبل العربي، السنة ٣٥، العدد ٤٠٦، ديسمبر ٢٠١٢، ص ٤٢-٥٣.
(٥٩) شريف درويش اللبان، الثورة الدينية: الإعلام وتجديد الخطاب الديني، http://www.acrseg.org/36538.